كتاب

أصول الفلسفة

لواضعه

أمين واصف بك

« الطبعة الأولى »

١٣٣٨ هـ = ١٩٢١ م

obeikandl.com

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله تعالى وسلم على سيدنا محمد النبي الأمين ، وعلى سائر الأنبياء والمرسلين

هذا موجز وضعناه فى علوم الفلسفة الخمسة :

علم النفس ، وعلم الجمال ، وعلم المنطق ، وعلم الأدب ، وعلم ما وراء الطبيعة

وقد تحرينا فيه مبلغ حاجة الطلبة المصريين الذين يتهيأون لدرس الفلسفة العالية فى جامعات أوربا . وقد اقتطفناه من صفوة ما أخرجت العقول من المؤلفات الأفرنجية فى هذا الباب ، ورتبناه على أسلوب تمريني عند القوم ، وذيلناه بمعجم صغير للمصطلحات الفلسفية تسهيلاً للطالبين فى مراجعة الكتب الفرنسية والانجليزية

لسنا بصدد القول فى بيان فائدة الفلسفة والدلالة على مزاياها ، غير أن الذى نشير اليه هو شدة احساس الغربيين بموضع الحاجة اليها فأفسحوا لها الصدر من مجالس العلم ومعاهد العرفان فى حين ترى شدة اهمالنا إياها وانصرافنا عن درسها ؛ وليس يذهب عنك أن العظمة الشخصية والقوة المعنوية للأمم لا تأتى الاَّ من طريق الدرس المنظم أو التربية العملية للعقل والقلب معاً ، وأبلغ ما دون لهذا الغرض كتب الفلسفة التى لا أثر لها فى مدارسنا الى اليوم

وقد استخرنا الله تعالى فى وضع مؤلف آخر نتبسط فيه فى شرح قواعد كل من هذه الخمسة العلوم فى مجلد خاص تفصيلاً لما أجملناه فى هذا المختصر

أسأل الله أن يمدنا بروح من عنده حتى نستطيع القيام بهذا الواجب العظيم

اصول الفلسفة

مقدمة

موضوع الفلسفة — كانت الفلسفة فى العصور القديمة مجموع العلوم المعروفة وقتئذٍ ؛ وكان الفيلسوف يحيط بعلوم وقته وفنونه من لغات وطبيعيات وآلهيات وهندسة وفلك وموسيقى وشرائع وطب وغيرها

وكان الأمر كذلك أو ما يقرب فى القرون الوسطى اذ كان فى الطاقة البشرية الالمام بجملة تلك العلوم والفنون

أما وقد اتسعت المعارف البشرية اتساعها المعهود وتشعبت العلوم العصرية فقد أصبح فى غير مقدور الانسان أن يجمع معارف عصرنا هذا ؛ ولو حاول أن يُلَمَّ ببعضها الماماً للزمه أن يعيش اضعاف عمره . لذلك استقلّت الفلسفة بتقرير المسائل العامة التى تصل تلك العلوم بعضها ببعض مثل البحث فى أصول الكائنات وطبيعتها والخواص الذاتية لها ومكانها من الوجود وما تصير اليه غايتها ما عدا أحوال الأجسام وخواصها العرضية فان البحث فيها من شؤون العلوم الخاصة بها لأن العلوم الوضعية كلها تشتغل بكل ما يعرض للموجودات من الظواهر والخواص والاعراض دون حقائق هذه الموجودات وأصل وجودها فان ذلك من خصائص الفلسفة

تعريف الفلسفة — مما قلناه فى موضوع الفلسفة يمكن تعريفها بأنها علم المبادىء والعلل — علم البحث عن العموميات العالية للكائنات — علم البحث فى النفس والعالم وخالق الموجودات من طريق النظر الفكرى. اذاً فالفلسفة علم له صفة خاصة. وهى البحث عن العلل والمبادىء لأن معرفة الأشياء على طريقتين: معرفة **بسيطة عامة** كما يفهمها كل انسان، ومعرفة **مع الاستقصاء** بواسطة المباحث العقلية التى ترتقى بالباحث الى المبادىء أو الأصول العالية للأشياء وعللها الأصلية

فالفلسفة علم عقلى أساسه النظر والفكر وبهما امتازت عن علوم الدين القائمة على ما وصل الينا من تبليغات الرسل عليهم السلام ولقد أعجب أهلَ الفلسفة من المسلمين على قلة عددهم ما نُقل اليهم فى القرن الثالث عن ارسطو وافلاطون وغيرهما من فلاسفة اليونان فزجُّوا بأنفسهم فى المجادلات الدينية التى أثارها من ادّعى الإسلام من شيع الفرس والأعاجم وحملهم الجدل ولدد العناد على الخلط بين العقائد الدينية وما لا ينطبق على أصول النظر فانبرى لهم من بين الجماعة من دحض لهم بعض قضاياهم وخاف الخلفاء شر الفتن فأمسكوا عليهم حريتهم وسقطوا فى هاوية كانت خاتمة أمرهم فى الاسلام ولولا ذلك ما وقف أمام العلم والصناعة متمنت ولا وقفت الحضارة الاسلامية عند حد محدود

ظهر دين الاسلام وقد بلغت عقول الانام مبلغ الفهم والاعتبار فكان أول دين خاطب العقل ودعاه الى النظر فى اسرار هذا الخلق العظيم من حيوان ونبات وجماد ورفع القرآن من شأن العقل فصرح له باطلاق العنان

للفكر ما شاءت قوته عظة واستدلالاً[١] تخلط الفلسفة بالدين يضر به لأنه يعرض عقائده ؛ وهى عواطف قدسيه تتأثر بها النفس كما تتأثر ببهجة الجمال ؛ الى مناقشات العقل ومناقضاته

ويضر بالفلسفة كذلك لأنه يجعل للبحث والنظر فى حقائق الموجودات غاية واحدة هى تأييد عقائد الدين فتأخذ الفلسفة شكلاً دينياً لا يتناسب مع حرية البحث والنقد

ولما كانت غاية الدين والفلسفة اسعاد الانسان كانت العناية بهما من ضرورات الحياة ولا تنافى بينهما كما يظن بعضهم فان الدين طريقه القلب والعواطف ؛ والفلسفة طريقها العلم والنظر[٢]

على ان الدين من عند الله تعالى وما كان من عند الله فكل ما فى الوجود يؤيده وتظهر آيات القدرة الآلهية بأجلى مظاهرها فيه . هذا هو العلم وقد بلغ شأوه المعلوم وهذه الفلسفة ؛ وقد تناولت مباحثها أسرار الأكوان والعوالم ؛ لم نرها مسّت عقيدة ولا أصلاً من أصول العبادات . وما قولك فى دين يقول أئمته بترجيح العقل على ظاهر الشرع عند التعارض إلاّ أنه دين الحق دين الفطرة — (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبيّن لهم أنه الحق . . . . .)

وكذلك رأى علماء الفلسفة العصرية ضرورة المباعدة بينها وبين الأمور الدينيّة الصرفة وحذفوا كتاب اللاهوت[٣] من علوم الفلسفة

---

(١) ملخص آراء العلامة ابن خلدون والاستاذ الامام الشيخ محمد عبده

(٢) للشيخ مصطفى عبد الرازق باختصار

(٣) La théologia

وجعلوه علماً خاصاً بأهل الدين والمباحث اللاهوتية حيث انها قائمة على معرفة الحقيقة من طريق التعاليم والإلهام . أمّا قولنا ان الفلسفة هى علم البحث فى النفس والعالم وخالق الموجودات فلأنها تبحث عن العلل الأولى للكائنات وعن النفس البشرية لأنها موضوع البحث وآلة الوصول الى معرفة كل شيء

فائدة الفلسفة — تتعلق فائدتها بالتأثير الذى تحدثه فى الانسان وبالمنافع التى تعود منها على العلوم الأخرى

(١) فبالفلسفة يعرف الانسان نفسه ويقوى ملكاته ويعودها النظر والفكر والحكم على الأشياء — فهى تنير بصيرته فيدرك أسرار طبيعته وأصل خلقته وعلاقته بما يحيط به من الكائنات

(٢) والفلسفة علم متمم للعلوم الأخرى ومرشد لها لأن كل علم يرتكز على بعض تعاريف أساسية ومبادئ أو قواعد يستنبطها العقل منه ولكن بحالة عامة سطحية . والفلسفة هى التى تُجلّى أصولها وصفاتها وقوتها وطريقة استعمالها. كذلك لكل علم أسلوب يجب اتباعه فى مباحثه وإلاّ ضلّ العقل فيها . والفلسفة هى التى تبيّن لكل علم الطريقة المثلى التى تغيره وهى ما يعرف بالقضايا المنطقية فى علم المنطق

أقسام الفلسفة — الحقيقة ان الفلسفة علم ما بعد الطبيعة أما العلوم المعروف بالتواتر التصاقها بالفلسفة فتشترك مع علم ما بعد الطبيعة ولا تفارقه وهى :

(١) علم النفس — هو علم الأمور المكونة للحياة الروحية للانسان.

هذه الأمور مصدرها « النفس » وهى ما نسميها « أنيتنا » ولكن لا تعرف طبيعتها الا من علم ما بعد الطبيعة

(٢) علم المنطق — هو علم الأصول التى يتحتم على القوة المدركة أن تجرى عليها للوصول الى المعرفة الحقيقية . ولكن علم ما بعد الطبيعة يبحث فى هل الفكر قادر تماماً على الوصول للحقيقة وما هو المعنى الذى يصوره للمعرفة بوجه عام

(٣) علم الأدب — هو علم تقرير قواعد الارادة وتحديد الغاية التى يجب علينا أن نتخيَّرها دون غيرها وهو يحتاج لعلم ما بعد الطبيعة فى حل نظرية قيمة هذا العالم

فهذه العلوم المختلفة يرتبط بعضها ببعض إرتباطاً تاماً حتى يكاد يكون موضوعها واحداً فان موضوعها الذهن لا غير. فالمنطق هو الذهن باحثاً عن الطريق الواجب عليه أن يسلكها للوصول الى الحقيقة . والأدب هو الذهن باحثاً عن أجمل صورة تتحلى بها حياته وهو الخير . وعلم النفس هو الذهن باحثاً عن نفسه لمعرفة ماهيته وكيفية أعماله وعلم ما بعد الطبيعة هو الذهن مشتغلاً بأهم مطالبه وهى المعرفة والحدوث وحقيقة نفسه ومكانه من الوجود وغايته فيه أى المطلق

الجزء الاول

فى علم النفس

السيكولوجيا

تعاريف أوّليـة

تعريف علم النفس وموضوعه — يبحث علم النفس فى أحوالهـا وملكاتها وطبيعتها وهو علمان علم تجريبى وعلم عقلى فعلم النفس التجريبى هو علم دراسة ظواهر الحياة الداخلية ونواميسها دراسة تحقيقية أى عملية مجردة عن كل نظر جدلىّ، لا دخل لها فى عالم الماهيات أو العلل الأولى أو الغايات الأخيرة كما يفعل الطبيعى فى دراسة بعض الظواهر باحثاً عن نواميسها دون الدخول فى ماهية المادة ولا كيفية وجودها . كذلك عالم النفس لا يشتغل الاّ بتحديد الأمور النفسية دون البحث عن ماهيـة النفس ذاتها . أما علم النفس العقلى فهو دراسة النفس من حيث طبيعتها وأصلها ومصيرها لا من حيث أحوالها وقواها وسنتكلم عليه فى علم ما بعد الطبيعة إن شاء الله تعالى

النفس على العموم — يوجد فى العـالم كائنات حيّة هى النبات والحيوان والإنسان وكائنات غير حيّـة كالمعادن

فالأولى متعضونة تتغذى فيها أصل حيوى هو الروح أو النفس والأخرى مجردة عن هذه الصفات

والأولى تنمو حسب نوعها بتأثير روحها والأخرى تبقى على حالتها الأولى التى وجدت عليها ما لم تتغير بفعل فاعل أو بمؤثر خارجى

فالنفس اذاً مصدر الحركات الخاصة بالكائنات الحية أو مصدر الحياة

الحياة على العموم — الحياة هى خاصية توجد فى الكائن الحىّ، بها يتحرك بالإرادة

الحياة على ثلاثة أنواع (١) حياة عضوية أو نباتية خاصة بالنبات

(٢) حياة حسية أو حيوانية خاصة بالبهائم (٣) حياة ناطقة مدركة خاصة بالإنسان. أما صفة الأولى فالتغذية والنمو، وصفة الثانية الحس الطبيعى والحركة المستقلة، وصفة الثالثة النطق (العقل) والإرادة: بمعنى أن جميع حركاتها روحانية والحياة فى جميع الأنواع الثلاثة مصدرها الروح أو النفس.

واذا لاحظنا ظواهر الحياة فى الإنسان نراه يتغذى وينمو كالنبات ويحس ويتحرك كالحيوان وفوق ذلك يعقل ويفعل مختاراً — فهو اذاً يجمع بين أنواع الحياة الثلاثة. ولكن لا يوجد غير روح واحدة هى الروح البشرية

فائدة علم النفس — (١) علم النفس يُعرف بهِ أشرف جزء فى تكويننا وهو الروح فلا يعادله اذاً علم آخر ولا يرى الإنسان أنفع منهُ درساً

(٢) من علم النفس تستمد القضايا الضرورية لعلم المنطق بمعرفتنا للعمليات العقلية؛ ولعلم التوحيد بمعرفتنا لأنفسنا وما فينا من نقص فنرقى بها

الى معرفة الذات التى تنزهت عن كل عيب ؛ ولعلم الأخلاق بمعرفتنا الإرادة والأفعال ؛ ولعلم التربية بمعرفتنا للقوى النفسية التى نسعى لتهذيبها ولعلوم التاريخ والتشريع والإقتصاد السياسى وجميع العلوم الأدبية بمعرفتنا للحرية البشرية ونتائجها . تلك مزايا علم النفس

استمداد علم النفس — يُستمد علم النفس البشرية من دراسة الأفعال والظواهر التى هى مصدرها لأن الكائنات كما لا يخفى يدل عليها أثرها فى الوجود مثلاً :

(١) الشكل والوزن واللون والرائحة والصلابة والكثافة وانبعاث الحرارة وانعكاس الضوء وانتشار الصوت والكهرباء وتجاذب الأفلاك ونحوها كل هذه عرّفتنا الأجسام الخارجة عن نواميس الحياة والعوامل المهمة فى الطبيعة

(٢) التنفس والنمو والحركة عرّفتنا الأجسام المتعضونة والحية

(٣) الفكر والرأى (الحكم على الشىء) والقياس العقلى وأفعال الإرادة الحرة عرّفتنا روحنا

أسلوب علم النفس وطريقته — يبحث علم النفس كما قدمنا فى أحوالها وللحصول على ذلك يجب أن يبحث عن هذه الأحوال فى أنفسنا أولاً ثم فى غيرنا من أمثالنا ثانياً وهو ما يسمونه **بالمشاهدة** . والمشاهدة نوعان مشاهدة ذاتيه ومشاهدة خارجية

فالمشاهدة الذاتية ما كانت عن طريق الوجدان والتأمل

والوجدان ملكة من ملكات النفس البشرية تدرك بها حالاتها وتؤديها الينا فنشعر بها

والتأمل أو مراجعة الانسان نفسه من شأنه أن يفسح للنفس لكى تجيد معرفة أفعالها وأحوالها المختلفة

والمشاهدة الخارجية — أولاً — النظر فى أحوال الحاضرين والغابرين لنستخلص منها ما فكروا فيه وشعروا به ورغبوا فيه أو كرهوه بمطالعة أعمالهم التى هى ترجمان حياتهم المسطورة فى كتب السير والتاريخ والأدب والآثار والتشريع والفنون والديانات . . . الخ

ثانياً — مقارنة أحوال النفس المختلفة بين كهل تام الصحة مثقف العقل وطفل لم يتم عقله ومدله فى عقله دخل أو اضطراب ومتوحش لم يستكمل عقله بالتربية

هذا وقد يفيد فى علم النفس مقارنة الانسان بالحيوان الأعجم

وثمرة المشاهدة الخارجية استكمال نتائج المشاهدة الذاتية أو تحقيقها على وجه يقربها من الحقيقة لأن الأولى (أى المشاهدة الذاتية) هى الأساس والأصل فى دراسة قضايا علم النفس

يضيف علماء النفس الى نوعى المشاهدة نوعاً آخر هو التجارب التى يخرّجون منها بعض نواميس تفيدهم فى الحصول على بعض حقائق نفسانية كاستشهادهم ببعض الحوادث الماضية فى تأييد نظرياتهم — أو النتائج التى يحصلون عليها من تأثير الأنظمة الاجتماعية فى الأمم — أو اثر القوانين

فى درجة أخلاقهم أو فى الثروة العامة — أو ثمرة طرق التربية المختلفة أو مضارها فى الطبقات البشرية

وليس الغرض من هذه التجارب الحصول على نتائج أكيدة تؤدى الى تغيير أو تعديل فى الظواهر النفسية كما هى الحال فى علوم الطبيعة من تأثير التجارب فى الحقائق العلميـة والظواهر الطبيعية — انما هى تجارب أو ملاحظات قد تكون قريبة أو بعيدة عن الحقيقـة ولكنها تقرب المباحث النفسية من الاذهان

وهناك علم حديث اسمه (**الفسلوجيا النفسية**) وهو علم يبحث عن ارتباط المجموع العصبي والمخ على الخصوص بالظواهر النفسية — يطبق المشتغلون به التجارب الفسلوجية على الأفعال النفسية المرتبطة بهـا . وأحوال الحس الخارجى على ما يظهر هى الأحوال الفسلوجية الوحيدة المرتبطة مباشرة بأسباب طبيعية محسوسة بالتجارب

وعلماء الفسلوجيا النفسية يشتغلون بالبحث عن سرعة الحس ومدة استمراره ومقدار التأثير الطبيعى المتناسب مع أول درجات الحس — والارتباط الواقع بين تغيرات التنبيه الخارجى وأسبابه وتغيرات الحس — وأبحاثهم هـذه لا تزال عرضة للنقد والتجريح وان كانت لا تهم علماء النفس كثيرًا لأن الظواهر الفسلوجية المرتبطة بالظواهر النفسية ليس لها الاّ أهمية ثانوية عندهم ومهما تكن قيمة هذه المباحث فالذى لا شك فيه ان علم النفس علم حقيقى أسلوبًا وموضوعًا

أقسام علم النفس — علم النفس قسمان — **عملى أو تجريبى**

(وهو المبنى على التجارب) وموضوعه أحوالها وملكاتها وعقلى وموضوعه طبيعة النفس وهو من خصائص علم ما بعد الطبيعة . والقسمان مختلفان فى موضوعهما وأسلوبهما فالأول أساس مباحثه المشاهدة أى على طريقة الاستنتاج والثانى أساس مباحثه القياس العقلى وشىء من التجارب أيضاً

علم النفس العملى او التجريبى

هذا القسم فيه مبحثان :

(١) حالات النفس والظواهر النفسية

(٢) ملكات النفس

(١) حالات النفس والظواهر النفسية

مصدر هذه الحالات هو الروح أو النفس لأنها مصدر كل فعل حيوى فينا — ولكن ليست كل هذه الأفعال بلا تمييز بينها موضوع علم النفس لأن بعضها أفعال وحركات عضوية محضة والأخرى روحية محضة فتكون الأولى خاصة بالجسم والثانية بالروح وغيرها مشترك بين الجسم والروح ولكنها من خواص الروح أولاً وبالذات

والأفعال والحركات العضوية مثل الهضم وتمثيل الغذاء والدورة الدموية والتنفس والنمو والحركات العصبية والعضلية . . . . . الخ هذه من موضوع علم التشريح والفسلوجيا وتسمى كلها بالظواهر الفسلوجية

وأما الأفعال أو الحالات النفسية — مثل التفكر على اختلاف أنواعه وهى الشوق . والذكر . والرأى . والاستدلال . وقوة الارادة . والاختبار . وما الى ذلك وكذا الحالات المشتركة مثل التأثيرات المفرحة أو المؤلمة التى تحدث فى أنفسنا عند مشاهدة مناظر خارجية كبستان جميل أو نار مشتعلة أو نحوها — فهذه كلها من خصائص علم النفس وتسمى بالظواهر النفسية الفسلوجية

الفرق بين الأفعال الفسلوجية والأفعال النفسية

تختلف هذه الأفعال بعضها عن بعض باختلاف الأصل فيها أو الغرض منها وطريقة عاملنا بها

اختلاف الأصل — الظواهر الفسلوجية مادية صرفة يمكن مقاسها كتحديد مدة الهضم لأى مادة غذائية أو معرفة شكلها وأطوالها مثل أعضاء الدورة الدموية والتنفس والهضم . أو كونها تشغل مكاناً معيناً فى الجسم كجريان الدم فلا يكون الاّ فى الشرايين والأوردة وحركة الهضم لا تكون الاّ فى المعدة وما يتبعها من أجزاء الجسم

وأما الأفعال النفسية الفسلوجية فهى أفعال روحانية غير مادية كالروح نفسها وهذه لا مكان لها ولا شكل ولا مقاس ولا وزن ولا تنتهى مطلقاً الى حركات مادية

اختلاف الغرض — الظواهر الفسلوجية الغرض منها حفظ صحة الأجسام ونموّ العضلات والأعصاب والعظام وباقى أجزاء الجسم البشرى

والظواهر النفسية الغرض منها أيضاً حفظ الجسم ولكن من وجهة أخرى وهى تقوية الحياة العقلية والأدبية أعنى معرفة حقيقة كل شيء واستخدام النافع والعمل الأصلح والتماس أسباب السعادة

اختلاف طريقة العلم — الظواهر الفسلوجية تعرف بالحواس الخمس (وهى البصر والسمع والذوق والشم واللمس) والاستعانة بالآلات الصناعية المضاعفة لقوتها المخترعة لهـذا الغرض أما الظواهر النفسية فلا تتناولها المشاعر الخمس ولا تتمثل لعالم الحس فتقع تحت الآلات الصناعية مهما كانت قوتهـا وانما تعرف بالوجدان وهو شعور نفسى تدرك به النفس حالاتها وتوصله الينا بلا واسطة وتسمى هذه بظواهر الوجدان أو الظواهر الوجدانية

تنبيه — للوجدان معنيان فهو فى علم النفس عرفان مصدره النفس ذاتها والحالات الباطنة بلا واسطة

وفى علم الأدب تمييز الخير والشر والحق والبـاطل فيطلقون على الأول الوجدان وعلى الثانى السريرة أو الضمير كما سيجىء بعد

ترتيب الحالات النفسية — هذه الحالات كثيرة ومختلفـة ولكن يظهر للمتأمل أنها متميزة ومستقلة بعضها عن بعض اذا لاحظنا وجوه التشابه بينها غالباً وعلى ذلك قسمها العلماء كما يأتى :

(١) تأثير الجوع أو الظمأ والبرودة أو الحرارة والحزن من الاخفاق والسرور من النجاح . . . . . وما الى ذلك كلها ظواهر مختلفة بلا شك ولكن تجمعها صفة واحدة هى التأثير فى الانسان (لاذًّا كان أو مؤلماً)

ومن ذلك يجمعونها طائفة واحدة ويسمونها **بالأفعال الخاصة بالحساسية**

(٢) كذا الفكر والذكر والحكم على الشيء والقياس العقلي وغيرها من الطبائع المختلفة لكنها توصل الانسان الى معارف شتى جمعوها طائفة واحدة يسمونها **بالأفعال العقلية**

(٣) الارادة والأفعال التي تستعين بها النفس على تنفيذ شهواتها داخلاً وخارجاً جميعها مختلفة ولكنها لم تخرج عن كونها ارادة وعزماً فسموها **بأفعال الارادة**

ومما تقدم يرى المتأمل ان أفعال النفس لا تخرج عن هذه الأقسام الثلاثة ولا يمكن وضعها فى تقسيم آخر

كل ما تقدم من البيان والتقسيم والتعاريف لم يكن الاّ مقدمات لعلم النفس . بقي علينا الكلام على هذه الأفعال بردها الى أسبابها وهى ملكات النفس فنقول :

(٢) ملكات النفس

للملكة معنيان أعم وأخص

فالملكة بمعناها الأعم هى قوة حسية او معنوية فى الكائنات تسير بحكمها على نمط خاص أو تنتج أثراً ما أو تتحول قليلاً أو كثيراً بتأثير غيرها فيها

وبمعناها الأخص هى قوة فى النفس البشرية تجعلها تسير مختارة أى بحرية وادراك

أما تلك القوة التى فى الكائنات الأخرى فتجعلها تحول قليلاً أو كثيرًا بتأثير المؤثرات الخارجية عنها فتسمى (**خاصية**) وهذه توجد فى الكائنات غير العضوية

والقوة التى تجعلها تسير سيرًا وجدانيًّا تسمى (**وظيفة**) وهذه توجد فى الكائنات العضوية فترى كل عضو من أعضائها يؤدى وظيفته من تلقاء نفسه بسر أودعه الخالق فيه سبحانه جل شأنه

تبيان ملكات النفس — ملكات النفس حكمها حكم باقى عوامل الكون نَسْتَبِينُها بآثارها أعنى بحالاتها وظواهرها التى تتولد عنها — وقد سبق أننا قسمناها الى ثلاثة أقسام وبما أن لكل ظاهرة سبباً خاصاً وللظواهر المختلفة أسباب مختلفة أيضاً فيكون للنفس ثلاث ملكات وهى (**الحساسية**) مصدر الأفعال الخاصة بها (**والقوة المدركة**) مصدر الأفعال العقلية (**والارادة**) مصدر أفعال الارادة والحرية والاختيار

قد يزعم بعضهم أن الحساسية ليست من الملكات الأصلية لأنها لم تكن الاَّ خاصية بسيطة . ولكن يرد عليهم أَن الارادة تتحكم فى الحساسية الى حد محدود وبناء على ذلك لا يصح اعتبارها خاصية أَو مجرد وظيفة عضوية . وقال آخرون بوجود ملكة رابعة سموها (الملكة المحركة) واليها ترجع جميع الحركات الجسمانية — على أن هذه القوة فى الحقيقة ليست الاّ نوعاً بسيطاً من حركة النفس التى تستخدمها لذاتها ولغيرها

وحدة الحياة الروحية — ملكات النفس وان كانت مختلفة لكنها غير قابلة الانفصال — لأنها لا تعمل منفردة أبداً وأقل الحوادث تجمع

بين أنواعها الثلاثة مثلاً اذا أصاب انساناً ألم شعر به طبعاً فهذه هى **الحساسية** وفى الوقت نفسه يدرك أنه يتألم وهذه هى **القوة المدركة** ويريد أن يتخلص من الألم وهذه **الارادة**.

والنفس البشرية تعمل دائماً على طرق متنوعة كثيراً أو قليلاً وهذه صفة أصلية فى طبيعتها وليست ملكاتها الاّ أشكالاً متعددة لحركتها كالألم واللذة والتفكير والارادة أعنى أنها تعمل بطرق مختلفة

قد يتفق أحياناً ان احدى هذه الملكات تتغلب على الأخرى الى درجة أنها تكاد تمحوها بالكلية ولكنها فى الحقيقة موجودة بأجمعها ومشتركة فى جميع حالات النفس (كما سيجئ بعد فى باب تأثير الملكات بعضها فى بعض) وذلك دليل قاطع على وحدة الحياة الروحية فينا

وملكات النفس كلها قديمة فليس لاحداها مزية القدم على الأخرى ولكن الحساسية أول ما يبدو لدى الطفل ثم تظهر فيه القوة المدركة ثم الارادة ولذلك سنتكلم عليها بهذا الترتيب (١) الحساسية (**الحياة الشهوية**) (٢) القوة المدركة (**الحياة العقلية**) (٣) الارادة (**الحياة العاملة**) ثم نعقب ذلك بحث خاص فى الاشارات الموضوعة للحالات النفسية وهى اللغة

الباب الأول

فى الحياة الشهوية

(١) الحساسية

الحساسية هى ملكة الحس بالألم وباللذة

للحساسية ست صفات لأنهُ اما أن تكون (١) حسية فعلاً بأن تقع أفعال الحس بلذة أو ألم (٢) أو تحويلاً باطنياً بسيطاً لدى من وقع عليه التأثير (٣) أو شخصية أى متغيرة باختلاف الأشخاص وأعمارهم وأمزجتهم وقوة بناهم وعقولهم (٤) أو انفعالية قابلة لتأثير الأشياء الخارجية (٥) أو جبرية حيث تفقد كل حرية لها فتكون اللذة والألم خارجة عن ارادة الانسان (٦) أو تكون مصحوبة بما يعرب عن حقيقتها بحركات أو انين أو ضحك أو نحو ذلك وقد يتأثر الانسان بلذة أو بألم اما بفعل جسى أو معنوىّ وعليه تكون الحساسية على نوعين **حساسية مادية؛ وحساسية معنوية**

والحساسية المادية مصدرها النفس والجسم معاً ومركزها النفس ولكنها لولا الجسم ما وجدت . وهى عبارة عن كل لذة أو ألم يتولد من التأثيرات المختلفة التى تقع عليها من الظواهر المادية

والحساسية المعنوية من خصائص النفس وحدها وهى عبارة عن كل لذة أو ألم يتولد فى أنفسنا بفعل غير محسوس مصدره أفكارنا وعواطفنا (كالتخيل والفكر والذكر)

وأصل العواطف **القلب** وليس المراد بالقلب ذلك الجهاز الخاص بالدورة الدموية وانما القلب هنا معناه الطبيعة البشرية ، والقلب فى جميع اللغات يرادف العاطفة فيقولون القلب والعقل أعنى العواطف والعقل . وتثقيف العقل يسمى **تعليماً** وتهذيب القلب يسمى **تربية**

فالكرامة الشخصية والمزاحمة والكبرياء والشجاعة الأدبية وحب العائلة والوطن والاخلاص والبطولة وبالجملة كل ظواهر الحساسية الأدبية كالميول والانفعلات والشهوات كل ذلك متعلق بالقلب

والقلب هو محرك الحياة البشرية . والعقل منظم هذه الحركة والقلب متى اتحد مع العقل أورى زناد الذهن وأنعش القول والفعل وأشعل نار الشجاعة وأخمد الأنانية وزان الرجال

الانفعالات الصادرة عن الحساسية

الانفعالات أو أحوال الحساسية الظاهرية هى اللذة والألم والاحساس والعواطف

(١) **اللذة والألم** — اللذة والألم هما شيئان لا تخلو منهما الحساسية على اختلاف طرائقها

ليس لنا طريق نعرف منه هاتين الظاهرتين عند الاختبار والتجربة

ويتعذر تعريفهما لأن تعريف الشيء عبارة عن تحليل عناصره وكل من اللذة والألم حادث بسيط لا يتحال، وكل ما لا يمكن تحليله لا يمكن تعريفه أي بحده ولكن يمكننا بيان صفاتهما وتعيين علتهما

علة اللذة والألم — اللذة هي ثمرة ارتياح النفس من حركتها واتفاق تلك الحركة مع غاياتنا الطبيعية فاذا عرض لتلك الحركة ما يعوقها أو يبالغ في حركتها أو يضلها نشأ ما يسمى ألماً

وللذة والألم أهمية كبرى في الحياة البشرية

فمن اللذة الحسية والألم نعرف حالة أجسامنا ان كانت صحيحة أم بها علة من العلل ونعرف بها مناسبة أو عدم مناسبة المأكل والملبس والمسكن والهواء الذي نستنشقه والأشياء التي نستخدمها وكل من الألم المعنوي واللذة المعنوية يزيد في تفهمنا ما يجب علينا بمعنى أن اللذة الأدبية تقربنا من الفضيلة والألم الأدبي يبعدنا عن الرذيلة ويعلمنا الانتباه والحذر والتبصر لأن اللذة الأدبية هي فاتحة الاحسان الذي توليه الفضيلة أهلها والجميل الذي تسوقه اليهم. والألم الأدبي هو نذير القصاص الذي يصيب أهل الرذيلة وذوي الهفوات

الفرق بين لذة الجسم ولذة النفس — قلنا أن اللذة والألم من الحساسية ولكن بين لذة الجسم ولذة النفس فروق ثلاثة :

(١) لذة الجسم واسطة ولذة النفس غاية لأن اللذة التي يشعر بها الانسان حين يأكل أو يستريح أو يتريض انما هي وسيلة للحصول على

حفظ الجسم. أما اللذة التى تحصل للانسان من التعلم والمطالعة فهى وان كانت وسيلة لرقى الانسان الاَّ انها غاية الغايات

(٢) لذة الجسم اذا خرجت عن الحد اللائق بها أو الغرض الذى وضعت من أجله كانت ممقوتة مهينة لصاحبها لأنها لم تكن لذة لذاتها ولكن لغيرها فاذا ما جعلها الانسان غايته انتقلت به الى طبيعة أدنى من طبيعته

أما لذة النفس التى هى لذة الفضيلة والعلم والصداقة والاخلاص وغيرها فهى ممدوحة وشريفة لأنها موصلة الى الكمال

(٣) لذة الجسم لذة زائلة أما لذة النفس فباقية بقاء الحياة اذاً فلذتا الجسم والنفس يجب أن تكونا بنظام مرتب معقول يهيئهما لحفظ طبيعتنا البشرية ورقيها

(٢) الاحساس

اذا سمعت صوتاً موسيقياً فان العلم يقول لك ان سبب سماعك لهذا الصوت هو التموجات الهوائية التى تنقله بواسطة الأعصاب الى المخ فتحدث تنويعاً خاصاً فى هذا العضو يسمونه « تأثيرًا » وهو ظاهرة فسلوجية . وما يدركه الوجدان مباشرة من هذه الظاهرة هو الحس أو الاحساس

فالاحساس هو كل انفعال نفسانى لاذّ أو مؤلم يحدث عقب تأثير عضوى

ولما كان هذا التعريف قاصراً فى ذاته لأنه يعرف الة العارضة للحس دون طبيعته (لأن طبيعة الحس لم يتوصل الى معرفتها) بحثوا فى صفاتها وعللها طبقاً لما سبق تقريره من أن كل حادث بسيط لا يمكن تحليله لا يمكن تعريفه

المشاعر — وأعضاؤها — وقوتها الطبيعية

يجب التفريق دائماً بين المشاعر وأعضائها — لأن المشاعر هى قوى خاصة للنفس أما أعضاؤها فهى آلات مادية توصل ما بين العالم الخارجى والنفس

والمشاعر خمسة — البصر والسمع والذوق والشم واللمس

عضو البصر العينان وأعصابهما وبواسطتها يدرك الضوء والألوان

وللسمع الآذان وأعصابهما وبها تُدرك الاهتزازات الصوتية

وللذوق الغشاء المخاطى للسان والعصب اللسانى وبهما يُدرك طعم المأكولات وغيرها

وللشم الغشاء المخاطى للحفر الأنفية وأعصاب الشم وبها تُدرك الروائح وسائر المشمومات

وللمس أعصاب خاصة منتشرة على سطح الجسم وعلى الخصوص باطن اليدين وأطراف الأصابع وبها تُدرك الحرارة والرطوبة والصلابة والرخاوة وغيرها

مما تقدم يعلم أن حقيقة عضو الاحساس هو المجموع العصبى أعنى الدماغ (المخ والمخيخ والنخاع المستطيل) والنخاع الشوكى والأعصاب .

والأعصاب تخرج من أسفل الدماغ أو النخاع الشوكى وتنتشر فى جميع أجزاء الجسم وهى على ثلاثة أنواع من حيث وظيفتها : قسم منها للحركة وقسم للحس وقسم للحركة والحس معاً

القسم الأول يسمى بالأعصاب المحركة لأنها تنقل الحركة من الداخل الى الخارج والثانى بالأعصاب الحساسة لنقلها الحس من الخارج الى الداخل والثالث بالأعصاب المشتركة مثل العصب اللسانى

قال سبنسر ان الحواس الأربعة الأولى ليست الاّ تنوعات متفرعة من الأخيرة وهى اللمس لأن كل احساس ينشأ فى الواقع من تنبيه الأعصاب والاحتكاك بها . وفى الحقيقة أن المشاعر لها أصل بعيد وهو « **الخاسة الجيوية** » واحدة بأصل خلقتها ثم تفرعت وانتشرت وأصبح لكل حاسة حيز مخصوص فأصبحت تؤدى وظيفة خاصة بها عند التأثيرات الخارجية

شرائط الاحساس :

أولاً — **تأثير يقع على عضو الاحساس** — مهما كان تركيب عضو الاحساس مضاعفاً فانه مكوّن من ألياف عصبية تنتهى بأجسام صغيرة جداً يختلف تركيبها باختلاف الحواس . مثلاً ترى ما يخص عصب السمع خلايا وما يخص عصب البصر أشكال مخروطية واسطوانية وهكذا . وهذه الأجسام الصغيرة لا تتأثر الاّ بتنبيه مخصوص وبدرجة مخصوصة بحيث يمكن القول بأن كل جسم أو كل ليفة من هذه الألياف معدّة لتنبيه واحد معين

وقد قال بعضهم ان كل ليفة عصبية من الشبكية (لعضو البصر) مكوّن من ثلاث ألياف عنصرية. هـذه الألياف اذا وقع عليها شعاع ضوئى واحد يتأثر كل منها تأثراً خاصاً (أى مخالفة لبعضها). ويتولد عنها العناصر الثلاثة الأولية لحاسة البصر وهى الأحمر والبنفسجى والأخضر

ثانياً — **توصيل الأعصاب لهذا التأثير** — التنبيه الواقع على أطراف الأعصاب شرط عادى للاحساس. ومعنى عادىّ ان التنبيه يقع عادة على أطراف الأعصاب. ولكن ليس هناك ما يمنع وقوعه على أى جزء من أجزائها ويتم بذلك عملها كما يقع على أطرافها

ثالثاً — **ارتجاج مخى** ومتى تأثر العصب بهذا التنبيه نقله الى المراكز العصبية قالوا بسرعة ثلاثين متراً فى الثانية واختلف العلماء فى طبيعة نقل العصب للتنبيه. هل هو كفعل الكهرباء أو هو تفاعل كيماوى يحصل بسبب هذا التنبيه على عناصر الأعصاب المختلفـة ؟ كل ذلك تحت البحث اليوم

وهناك مسئلة أخرى فيما يخص طبيعة العصب — هل كل عصب من الأعصاب يتأثر بكل تنبيه يقع عليه أو أنه فطر على أن لا ينقل الاّ تنبيهاً خاصًّا به ؟ قال بعضهم بالأول وقال آخرون بالثانى والرأى الأول هو المعوّل عليه عند جمهور العلماء اليوم : أى ان الأعصاب تنقل ما يقع عليها من التنبيهات أيًا كان نوعها وتنقلها الى المراكز العصبية وهذه المراكز هى التى فطرت مخصصة لكل تنبيه مركز خاص

رابعاً — **تحول أو انفعال فى النفس** — ان مجرد وصول التأثير الى

المخ وهو مركز المجموع العصبي يظهر من النفس الانفعال أو الحس وهو الاحساس الحقيق

فالأول من هذه الأمور الأربعة فعل مادى والثانى والثالث أفعال فسلوجية والرابع ظاهرة نفسية

عناصر الاحساس — للاحساس عنصران **حسى ومعنوى** بمعنى ان الانسان اذا أكل تفاحة أو إشتم وردة فانه يشعر فى الحال باحساس ثم يميز هذا الاحساس — فالأول يسمى **حسياً** لأنه تأثير مادى يقع علينا فيكون مقبولاً أو غير مقبول والثانى يسمى **معنوياً** لأنه حالة وجدانية داخلية يميز بها الانسان بمساعدة القوة المدركة نوع المأكول ودرجة نضجه أو رائحة المشموم ونوعه وفصيلته الى غير ذلك

تنبيه — العنصر الحسى للاحساس والعنصر المعنوى قوتاهما متعاكستان فكلما كان الأول قوياً كان الثانى ضعيفاً لأن حدة الانفعال تضر بسلامة التمييز وبالعكس

صفات الاحساس — لكل احساس أربعة أمور

(١) مدة طويلة أو قصيرة — لأنهُ لا يظهر الاحساس ولا ينعدم الاّ بمضى وقت طويل أو قصير

(٢) شدة متوسطة — لأن الذهن لا يدرك التأثيرات الضعيفة جداً ولا القوية جداً

(٣) طبيعة خاصة أعنى أنهُ يكون لاذاً أو موئلماً

(٤) صفة أو جنسية بمعنى أن يكون الشيء قابلاً للشم أو الذوق أو

اللمس أو الرؤية لأن صفة الاحساس تتعلق بالحاسة التى تولدها

ترتيب الاحساس — الاحساس على نوعين باطنىّ وظاهرىّ حسب علله وأسبابه

فالاحساس الباطنى يتولد من تحويل مجهول الأصل غالباً فى تركيب الجسم وعلى الخصوص فى الجهازين الهضمى والتنفسى من تعب أو جوع أو عطش أو حمى وغير ذلك

وفى مثل هذا الاحساس يكون العنصر المعنوى مفقوداً ولذلك نجهل كثيراً من حقيقة وظائف الأعضاء الباطنية والأعضاء الحيوية والاحساس الظاهرى يتولد من التأثيرات المادية فى أعضاء الحواس وتختلف أنواعها باختلاف الحواس نفسها كما قدمنا

هل مدركات الحواس صور صادقة عن الأشياء الخارجية ؟ الحسّ ليس بصورة صادقة للأشياء لأنهُ فى ذاته لا يمثل لنا الاّ حالات الوجدان أى تنوعات عاملية نعتقدها أموراً خارجية بصفاتها الحقيقية ولقد تظهر غرابة القول بأن الالوان والحرارة ليست الاّ قائمة بنا وقارة فى ذواتنا. ولكن ذلك هو الحقيقة. وقد قسم الفلاسفة من قديم خواص الاجسام الى قسمين خواص أولية كالثقل والمقاومة والامتداد الخ وخواص ثانوية مثل اللون والحرارة والرائحة الخ ومن المحقق أن الخواص الثانوية هى محض حالات نفسية : فمثلاً اللون لاصق بعضو الأبصار حتى ان تغييراً بسيطاً فى هذا العضو كاف لابدال اللون بلون آخر. كذلك القول فى الحرارة — اغمر يدك اليمنى فى ماء بارد واليسرى فى ماء ساخن ثم ضعهما

كلتيهما فى ماء فاتر فتشعر يدك اليمنى بأن الماء ساخن واليسرى بأنه بارد

ولقد أثبت العلم نفسه بأن لا لون ولا صوت خارجاً عنا وان كل ذلك عبارة عن حركة فى إثير الفضاء ليس الاّ

وكذلك الخواص الأولية للأجسام ليست حقيقة أيضاً بل ذلك وَهْم محض ؛ لأن الثقل والمقاومة يختلفان باختلاف القوى العضلية فحجر من الأحجار قد يكون ثقيلاً بالنسبة لغلام أو مريض ولا يكون كذلك بالنسبة لرجل قوى أو صحيح البنية . فالأشياء فى ذاتها ليس لها طعم ولا رائحة ولا حرارة ولا هى مضيئة ولا ذات أصوات مما نراه أو نسمعه. كل هذه الخواص آتية من الوجدان . ولذلك قالوا ان العالم وليد الذهن ومن مادته

اضافية الاحساس — مما تقدم نخرج بنتيجة أخرى . لا شك ان ما أشعر به أنا من الحس هو هو بالنسبة لى ولكل انسان غيرى فهو اذاً بالنسبة لعالم الانسان واحد أى انه من هذه الوجهة احساس مطلق ولكن كل كائن آخر بنيته وتركيب قواه يخالف ما عليه الكائن البشرى لا يحصل له نفس الاحساس ولو اجتمعت له الشرائط عينها والوسط بعينه . ولو تغيرت بنية الانسان لتغير معها الحس اذاً يكون الحس اضافياً (Relative)

قلنا اضافياً لأن الحس يتعلق بحقائق الأشياء والتركيب العضوى للنوع معاً . فالحيوان ذو الجلد الصفيق يخالف احساسه احساس الحيوان ذى الجلد الرقيق الطرى . وكذلك بالنسبة لبنية الأفراد فان من مسه الرمد

قد لا يميز بعض الألوان وكل ذلك عوارض بيولوجية . وفى بعض الحميات يظهر الحس شديداً جداً . وقد يتغير الحس مع تهيج العصب . فاذا وقعت تأثيرات مختلفة على عصب الأبصار ولدت دائماً الحس بالضوء . ونفس هذا التأثير الواقع على العين وتولدت عنه ظواهر الضوء . يُولّد الصوت بتأثيره على الاذن ويحدث وخزاً فى الجسم بتأثيره على الجلد . وهكذا الحس أيضاً اضافى بالنسبة لحالة العصب المتهيج . فالسكير يحتاج لزيادة المقدار الكؤولى لكى يحدد الحس واذا أطال الانسان نظره فى ورقة حمراء ثم حوّله فجأة الى شيء أبيض ظهر له فى لون أخضر

وبالجملة لو كان تركيب الوجدان والحواس غيره اليوم لكانت المدركات كلها غيرها كذلك وربما كانت تبدو فى أشكال لم تخطر على البال لأى مفكر فى هذا الوجود . ولما كانت المدركات بالحس مختلطة بالوجدان ويتعذر فصلها بعضها عن بعض فليس وراء ذلك الاّ العلم الواقعى الذى هو كفيلنا فى تمييز عناصر هذه المدركات المتقلبة العاملية وردها الى عناصر ثابتة عامة واقعية

(٣) العواطف

العواطف هى كل انفعال نفسانى لاذّ أو مؤلم يحدث من فعل عقلى أو أدبى — وهذه العواطف تنحصر فى الفرح أو الحزن

أنواع العواطف المختلفة — هذه الأنواع عديدة منها ما هو عقلىّ او

أدبيّ أو دينيّ أو اجتماعيّ أو جماليّ (خاص بالفنون الجميلة) — ولكن أهمها العواطف الروحية والعواطف الاخلاقية

فالعاطفة الروحية ما تولدت من الحصول على الحقيقة والجمال أعنى السرور الذى يتولى الانسان من رؤية الشيء الجميل أو العثور على الحقائق وكذا الحزن الحاصل من رؤية الشنيع أو الفظيع أو عدم التهدىّ الى المطلوب، كل ذلك أسباب للعواطف الروحية

والعاطفة الاخلاقية ما تولدت من فعل الخير أو الواجب كأثر السرور فى النفس عقب فعل الجميل أو ذكرى الأثر الجليل وحزنها اذا ذكرت فعلاً شائناً أو خطأ كبيرًا

الفرق بين الإحساس والعواطف — وان كانت هاتان الخلتان مصدرهما واحداً وهو الحس وكلتاهما من الظواهر الحسية والحالات الوجدانية فان بينهما اختلافاً تاماً

فالاحساس يحصل من تأثير عضوى دون أى فعل عقلى كاللذة الحاصلة من الأكل أو الشرب أو الألم من الجوع أو العطش

والعاطفة على العكس منشأها فعل عقليّ او أدبيّ كفكرة تعرض أو ذكرى تمر أو غرض يتم أو غير ذلك

والاحساس موضعى أى له موضع معين من الجسم الانسانى فألم الجرح لا يكون فى غير مكان الجرح وألم الكريه من الروائح لا يكون فى غير الحفر الأنفية وألم الجوع لا يكون الاّ فى المعدة وهلم جرًّا

أما العاطفة كالغيرة والحماس والحب والبغض وغيرها فلا محل لها من الجسم بل تجدها ملابسة للنفس بأسرها

والاحساس يضعف بالتكرار فاليد تعتاد البرودة بدوام ملامسة الأجسام الباردة — وحاسة الشم تضعف باستمرار شم الروائح العطرية أو الكريهة

والعاطفة بالعكس تزداد نماءً وقوة بالمران والعمل فالتعلق بالحقائق والبحث وراءها ومحبة العدل وعشق الجمال والجلال كل ذلك يوسع فى مداها ويمدّ فى أطرافها حتى تبلغ الكمال

(تنبيه) الاحساس مشترك بين الانسان والحيوان الأعجم أما العاطفة فخاصة بالانسان الذى اختص دون سواه بالانفعالات العقلية والأدبية — غير ان للحيوان بعض احساسات بسيطة مثل الفرح والحزن والحب والبغض لأن فيه معرفة من طريق الحس

فائدة الاحساس والعواطف — أما الاحساس الباطنى ففائدته حفظ الحياة الجسمانية لأن به نعرف ما يلزم لحفظ صحتنا وما يضر بها

والاحساس الظاهرى — تعرف به الأشياء الخارجية وهو يوقظ فينا القوى العقلية فتبحث فيها للوقوف على حقائقها

والعواطف لها غاية أسمى وهى رقى الحياة العقلية والأدبية

أما من الوجهة العقلية فانها توقفنا على حالة العقل فنسمى لما فيه رقينا العقلىّ ونتجنب ما فيه تأخيره — فمثلاً النجاح فى اكتشاف حقيقة من الحقائق يولد فينا لذة وارتياحاً يبعثنا على البحث عن غيرها — أما من

الوجهة الأدبية فان هذه المواطف تعلمنا ما يجب أن نفعله أو نتباعد عنه حتى نصل الى المثل الأعلى من الكمال ؛ فوخز الضمير هو نذير القصاص وسوء العقبى لأهل الرذيلة ، والسرور بشير السعادة لأهل الفضيلة والدافع للانسان على النهوض بالعمل المبرور

ميول الحساسية

العلل الخفية لملكة الحس هى الميول والشهوات

(١) الميول

الميل هو هوى طبيعى غريزى فى النفس يُقرّبنا من الأشياء التى تتفق مع طبيعتنا البشرية والميل فى الحقيقة أمر خارج عن ارادتنا وتأثيرنا فيه تأثير بالواسطة

والميول على أنواع كثيرة بحسب ما تتعلق بها طبيعتنا وعلاقتنا مع الغير — ولكن يقسمها العلماء عادة الى ثلاثة أنواع ميول شخصية وميول اجتماعية وميول عالية

الميول الشخصية — هـذه ميول تتعلق بالانسان بأكمله عقلاً وجسماً والميل المادى أو الشهية فى الانسان هى احساس عضوى يحملنا على البحث عما يحفظ حياتنا الجسمانية أو يرقى حالتها المادية وغالبها ذات مواعيد محدودة تقريباً مثل الحاجة الى الطعام أو الشراب أو النوم

والشهية إما طبيعية او خيالية — فالأولى مثل حاجة الانسان الى الأكل والنوم وغيرهما من ضروريات التركيب البشرى والثانية مثل الميل

الى التدخين او المسكرات وغيرها من مقتضيات العادة فقط

والشهية الطبيعية يجب ان تكون بنظام وتيب حتى لا تخرج عن الحد المعقول اللائق بمنزلتها من الحياة البشرية

وأما الشهية الخيالية — ففى الغالب مضرة وغير ضرورية لنمو الجسم وحفظه

والميل الخاص بشخص الانسان إما ان يكون لفائدة العقل او لفائدة العقل والجسم معاً ونحن نفضل طبعاً كل ما من شأنه ان يرقى حالتنا ويجعلنا فى نعيم دائم : كالرفاهية والغنى والاستقلال وعلامات الشرف والرقى الطبيعى والعقلى والأدبى

الميول الاجتماعية — هذه الميول التى تقربنا من أمثالنا بسبب الفوائد التى تعود علينا من المجتمع الانسانى اى من الأشخاص الذين نرتبط بهم وهى :

(١) مدنية الانسان — أعنى انه مدنى بالطبع اى لا يعيش بغير الاحتكاك بأمثاله والالتصاق بهم فيداولهم المنفعة والمحبة والأفكار والشعور والالفة والاحترام

(٢) الميول الأهلية او الطائفية — مثل محبة الأهل ومحبة الوطن والأخذ برأى الجماعة — ورقى هذه الميول يولد الحنان والعطف والاحسان والاخلاص وعمل الخير والاحترام والتقليد

الميول العالية — هى العواطف الروحية والاخلاقية والدينية والخاصة بالفنون الجميلة مثل حب معرفة الحقيقة وهو مصدر العلوم — وحب

الجمال وهو مصدر الفنون وحب الخير او الإيثار وهو مصدر الفضيلة وحب المولى تعالى وهو مصدر الدين

وغاية الميول العالية التى هى أشرف الميول على الاطلاق رفعة الانسان وسعادة الحياة

(٢) الشهوات

الشهوات هى انفعالات قوية او ميول حادة للحساسية

كل شهوة اصلها ميل وكل ميل سواء أكان مادياً او عقلياً او أدبياً متى زاد عن حده أصبح شهوة وليس كل ميل ولو زاد عن حده فاسداً

الميول القوية الموجهة نحو الخير والجمال والحقيقة كلها ميول حسنة كالميل نحو تعلم العلم او الاخلاص للوطن او محبة الأهل او نحوها

الميول التى تدفع الانسان عن الواجب هى ميول ممقوتة وأهلها ازرياء وذلك مثل البخل والكبر والشراهة والحسد

طبيعة الشهوة — شبه بعضهم الشهوة بالنسبة للقوى النفسية بالمرض بالنسبة للجسم والجنون للعقل أعنى انها اضطراب فى الحياة الروحية

وقال آخر ان الشهوة كالانتباه فى القوة المدركة بمعنى ان الانتباه هو توجه الذهن كله الى غرض واحد كذلك فى الشهوة . فان الحياة الشهوية بدلاً من ان تتوزع على الميول المختلفة تتحول كلها الى نقطة واحدة

الشهوات المرذولة — هذه الشهوات على أنحاء :

(١) الشهوات الحادة — من صفاتها إضطراب حكم الانسان على

الشيء الواقع تحت تأثيرها واستعباد الإرادة فلا تكون حرة مختارة فى عملها فهى بهاتين الصفتين اكبر درجات اختلال الشعور

(٢) الشهوات العمياء — وهى الشهوات التى تعمى صاحبها عن نتائج عمله فلا يرى حسناً الاّ إرضاء شهوته

(٣) الشهوات المانعة — وهى التى تطفىء فى صاحبها كل ميل آخر وتزيل منه كل فكرةٍ فى غيرها مثل شهوة المقامر أو المدمن ونحوهما

(٤) حب الذات او الأنانية — هو شهوة متى تملكت انساناً أنسته حق الغير وكان غرضه الوحيد التمتع بكل حق دون سواه وارضاء شخصه غضب الآخرون أو رضوا متاعاً وقتياً على غير قاعدة وتسمى أيضاً بالأثَرَة

وعلل الشهوات المرذولة التى تفسد الميول الغريزية للحساسية وتقلبها الى شهوات مرذولة بعضها ظاهر وبعضها خفى

العلل الظاهرة — (١) الوراثة والبيئة التى يعيش فيها الانسان ودرجة الثروة والوسط الاجتماعى والظروف (٢) العمر ونظام الحياة والمزاج وبعض الأمراض (٣) وعلى الأخص التربية والدروس وكتب المطالعات والقدوة وهذه أهمها لأن تأثير الخطابات والأفعال التى تصدر من رجال الأفكار الحماسية عظيم حتى فى نفوس أهل الدعة والسكون وبالعكس فان النفوس المطمئنة الهادئة توحى الى غيرها الطمأنينة والأناة ولذلك قالوا ان الرجل فى الجماعة غيره منفرداً

العلل الخفية — (١) التخيل الذى يصوّر للانسان بأوهامه الخداعة الحسن رديئاً والردىء حسناً فمثلاً فى ساعة الغضب يخرج التخيل عن

حده مبعداً عنه كل صورة تلطف من حدته مقرباً منه كل صورة تزيد فى اضطرابه وتدفعه الى هيجانه (٢) الإرادة سواء بتركها تعمل فلا يكبح جماحها أو تكون تلك الإرادة معينة للشهوة فى الحصول على رغباتها عاملة على مرضاتها

قال الشهير بوسويه — ان أصل الشهوة الحب لأن الانسان لا يكره شيئاً الاّ اذا أحب شيئاً آخر بمعنى ان كراهة المرض سببها حب الصحة والسلامة والبغض الذى تظهره لشخص علته الاعتقاد بأنه الحائل دون ما تشتهيه وهكذا

ترتيب الشهوات — لما كانت الشهوات ميولاً متطرفة وقد سبق أن قسمناها الى ثلاثة أنواع فالشهوات أيضاً على ثلاثة أنحاء

(١) شهوات شخصية — هذه الشهوات بعضها مادى يتولد من الشهية، وهذه تختص بالجسم، وبعضها أدبى منشؤه الميل، وتختص بالنفس أو بالجسم والنفس معاً

فمثلاً الشراهة فى الأكل والأدمان فى الشراب أصلهما الحاجة المفرطة للأكل والشرب

والكسل من الحاجة المفرطة للراحة وحب الذات والجبن والكبر والغرور من الإفراط فى حب الذات

وكذا حب الاستقلال من الإفراط فى محبة الحرية والطمع من الرغبة المفرطة فى نيل العطايا والامتيازات والرتب والبخل والحرص من الإفراط فى حب الملكية وهكذا

(٢) الشهوات الاجتماعية — وهى إما ذات مرمًى سيئ كالحسد والغيرة والبغض والنفور من الناس والغضب والانتقام أو ذات قصد حسن مثل الافراط فى حب الوطن والميول السياسية وتحويل رأى الجماعة الى حزب من الاحزاب . . . . . وغيرها

(٣) الشهوات العالية — هذه إما عقلية أو أدبية أو دينية كما قلنا فى الميول حسب مذهبها الأصلى ان كان للخير أو الجمال أو الحقائق العلمية أو المذاهب الدينية كالتعصب الدينى والافراط فى الغيرة الكاذبة . والتحمس للمذاهب الجديدة وغيرها

تأثير الشهوات فى الحياة — الشهوات هى قوى عمياء تسير بصاحبها على غير هدى لا يهمها حق أو باطل نظام أو اختلال — وطالما كانت سبباً لمصائب كبيرة وأحداث جلّى وجنايات فظيعة لأنها تذهب بصواب الحكم وتضل الفكر وتقهر الإرادة

ولكن اذا سلكت الشهوات طريقها المثلى فوجهت تلك الميول الحادة لدفع ضرر بين أو تحقيق خير محقق كانت سبباً من أسباب الرقى العظيم — فان جميع الرجال العظام الذين جادت بهم الأيام من رجال الشهوات العالية

منشأ العواطف — اذا نظرنا فى صنوف العواطف المتقدمة نظرة عامة رأينا من بينها طائفة من العواطف المختلفة خالصة بأصل الفطرة . ولكن (روشفوكلت) أنكر وجود عواطف خالصة (أى خالية من

الأنانية والغاية) وأنكر فلاسفة الانكليز وجود هذه العواطف بأصل الفطرة

فقد زعم (روشفوكلت) ان جميع عواطفنا يداخلها الأنانية ، وقال ان المصلحة هى الباعث لكل أفعالنا . فرد عليه بعضهم بأن هذه الدعوى تسىء الى الانسانية وتنزل من قدر الطبيعة البشرية . وفى الواقع ان هذه الدعوى ليست مطلقة على ما يظهر بادئ بدء لأن روشفوكلت نفسه قد أتى فى كلامه بكثير مما يلطف من قسوته على الانسانية . ومع كل فلو فرضنا ان الانسانية الى زمن ما لم تكن تعرف حق المعرفة بعض العواطف الشريفة فهل لنا أن ننتزع من ذلك انها لا تعرفها أبداً ؟ أما المذهب الانكليزى فيقول ان حقيقة الميول الخالصة لا شك فيها الآن غير ان هذه العواطف تكونت بالتدريج أى مع الوقت وليست هى من المدركات الطبيعية . ومنشأها الأنانية . لأن الانسان أحب غيره لحبّه لذاته ثم نسى مع الزمن هذه الأنانية وأحب بنى جنسه لذاتهم . كذلك القول فى الميول العالية . فان الانسان بدأ يتظاهر بها ليتوسل بها الى نيل أغراضه وهى السعادة . ثم نسيها رويداً رويداً حتى صارت فيه جبلة وعرفت باسم النزاهة

الباب الثانى

فى الحياة العقلية

القوة المدركة

القوة المدركة بمعناها العام هى ملكة العلم والتصور . وبمعناها الخاص هى ملكة العلم بالكليات وبالمعانى المجردة وتسمى أيضاً ادراكاً أو عقلاً لإدراكها الأشياء وتعقلها إياها واخراجها المجهول من المعلوم بالقياس العقلى

ومن حيث معناها الخاص لا يشترك الحيوان فيها مع الانسان . فليس للحيوان الاّ معرفة الأشياء المادية بمساعدة الحواس

من الشطط أن ندعى للعقل احتكار المعرفة وان كانت المعرفة الحقيقية ما جاءت بواسطة الأفكار أو التصورات الفكرية للأشياء : فتصور المحسوس هو حضور صورة خيالية له فى الذهن تماثله شكلاً ولوناً . وتصور المعنوى ادراكه وتصوره فى معناه لا فى شكلهِ حيث لا شكل ولا لون له . مثلاً مثلث أو انسان يمكنك تصورهما على الوجهين ولكن معنى حقيقة أو فضيلة أو روح ونحوها لا يمكن تصورهما الاّ على الوجه الثانى حيث لم يكن لهما صور فى الخارج والعلم الحقيقى لا يكون بغير التصور التام

قوى الإدراك — للادراك قوى ثلاث مختلفة لتحصيل المعلومات وحفظها وترتيبها وسنتكلم عن كل قوة من هذه القوى الثلاث ثم نعقب ذلك بدراسة النظريات المختلفة التى قيلت عن أصول الأفكار

الفصل الأول

قوة التحصيل

للعلم مواضع ثلاثة : عالم الأجسام . والنفس . والحقائق . يدرك الانسان الحقائق المادية بالمشاعر . ويسمى ذلك الإدراك الظاهرى أو الحس الظاهر ويدرك الحقائق النفسانية بالوجدان . وهذا هو الادراك الباطنى أو الحس الباطن أما الحقائق التى لا تقع تحت المشاعر ولا الوجدان فندركها بالعقل وهى حقائق ما فوق الحس كالنفس وخالق الوجود

(١) الإدراك الظاهرى

الادراك الظاهرى هو ملكة يعرف بها وجود الأشياء الخارجية وأحوالها عن طريق الحس الطبيعى

والادراك هنا معناه تبيان الحس وتعرّفه وانتزاعه من الوجدان للحصول على معرفة خاصية بشىء خارجى . فالحس هو مادة المعرفة ثم نحن نستقبل الحس ونمتحنه بالادراك أى بالعقل وهو صورة المعرفة

اذاً فالادراك الظاهرى يقتضى ثلاثة أمور (١) احساس (باطنى أو

ظاهرى) بحدّيه الحسى والمعنوى (كما قلنا) (٢) استعداد الذهن لتمييز نوع الاحساس (٣) حكم الحس بوجود الشىء المسبب للاحساس وأحواله

أما الادراك الغريزى فهو الادراك الخلقى الحاصل من المشاعر الخمس بلا مساعدة شىء آخر وقبل كل تدريب أو تعليم

والادراك المكتسب هو الادراك الحاصل من احدى المشاعر بعد التجربة أو باشتراكها مع الحواس الأخرى

مثل إدراك الانسان للألحان الموسيقية وأنواعها باعتياد سماعها أو معرفة طعم بعض المشروبات بمجرد النظر الى لونها أو معرفة أنواع الغازات من رائحتها وهكذا

وبالادراك المكتسب بالمشاعر الخمس وحفظ أثره بالذاكرة واشتراك تلك المشاعر مع بعضها بالتجربة والعادة يمكن الحكم **بالنظر** على مواقع الأشياء وابعادها وطبيعتها و**بالسمع** على طبائع الأصوات والنغمات وابعادها و**بالذوق** على أنواع المأكولات والمشروبات وهكذا

الفرق بين المعنى والصورة — (Idée et Image) يفرق علماء النفس بين المعنى الذى يحصل عندنا للأشياء والصورة أو الشكل المادى الذى نتصوّر به هذه الأشياء فالمعرفة الحاصلة من الحواس تستحيل فى الذهن الى صور. والحاصلة من الادراك الى أفكار أو معان فالمعنى هو التصور المفهوم من الشىء فى الذهن . والصورة هى التصور المحسوس للشىء فى الذهن. أعنى ما انطبع فى المخيله والذاكرة الحسية من مدركات الحواس مثلاً — حضور صورة المثلث فى الذهن عبارة عن تصور الصفات

الخاصة التى تحدده أعنى طول أضلاعه وانفراج زواياه ومساحته . أما حضوره بالمعنى فهو عبارة عن تصور طبيعته أو شكله أعنى أنه سطح مستو ذو ثلاثة أضلاع

وكذلك حضور صورة الانسان فى الذهن عبارة عن تصوره طويلاً أو قصيراً أبيض أو أسمر قوى البنية أو ضعيفها

أما حضوره بالمعنى فهو تصور انه انسان ناطق دون تصور شىء آخر من صفاته الخاصة

والمعنى عام ، والصورة خاص ، والمعنى واحد ، أما صور الأشياء المختلفة لجنس واحد فقد تكون متباينة جداً . والمعنى يتناول الأشياء المادية والعقلية أما الصورة فلا تتناول غير الماديات . والمعنى يدل على جوهر الشىء أو على مجموع صفاته المكون منها . أما الصورة فتدل على شكله الخارجى

سلامة الادراك الطبيعى — لكى يكون العلم بالادراك الظاهرى صحيحاً يجب أن تتوافر فيه شرائط أربع

(١) أن تعمل أعضاء المشاعر فى الدائرة المناسبة لها ضمن حدود قوتها الطبيعية . لأن البرج أو الصرح المربع الزوايا يظهر للعين مستديراً أو اسطوانياً من بعيد اذا كانت المسافة تزيد على مدى قوة البصر

(٢) أن تكون أعضاء المشاعر سليمة من العلل أى فى حالتها الاعتيادية فالعين الرمداء ترى الأشياء ذات ألوان مختلفة . والمحموم يشعر بمرارة فى الماء الزلال

(٣) أن لا يكون بين عضو الأبصار والشيء المرئي حائل ولو شفافاً فان العصا المغمور نصفها فى الماء تظهر للعين مكسورة. والأشياء المرئية خلف حجاب شفاف ملون ترى بلونه وهكذا

(٤) أن يكون الذهن متنبهاً للاحساس الحاصل من العامل الخارجي لأن الانسان اذا كان مشغول الفكر فانه ينظر الى ما حوله فى رائعة النهار ولا يبصر منه شيئاً فى الحقيقة لأن النفس وهى مركز كل احساس هى التى تسمع وترى وتذوق وتلمس وتشم وما أعضاء المشاعر الاّ آلات توصل بينها وبين العالم الخارجى

خطأ المشاعر — تنقل المشاعر التأثيرات الخارجية الى الذهن (بالشروط التى بيَّناها) نقلاً وهذا كل ما كلفت به بأصل خلقتها فاذا وقع خطأ كان ذلك من عدم انتباه الذهن فمن الأوهام الكثيرة الحصول انك ترى مثلاً الاشجار المغروسة على جانبي طريق ممتدة غير متساوية الارتفاع وان أبعدها أقصرها وأقربها أطولها — وأن الطريق أوسع ما تكون فى مكانك وأضيق ما تكون فى النهاية مع أن جميع الاشجار قد تكون متساوية الطول والطريق بعرض واحد فهذه الأوهام لها أسباب اخرى لا دخل للحواس فيها (كانكسار الضوء والمنظور من المرئيات البعيدة والأمراض) وعلى هذا فالخطأ المنسوب للمشاعر هنا خطأ موهوم لا حقيقة له

(ب) الإدراك الباطنى أو الوجدان[1]

الإدراك الباطنى أو الوجدان هو عرفان مصدره النفس وحالاتها

والوجدان يسمى أيضاً « **شاعرة باطنية** » لأنه يكشف لنا الحالات الداخلية الباطنية لحياة النفس من حس وفكر وعواطف وارادة كما يكشف لنا الادراك الظاهرى أحوال العالم الخارجى

والوجدان على نوعين **وجدان ذاتى ووجدان بالتأمل** والأول يعرفنا كل ما يعرض لنا : ما نحس به . وما نفكر فيه وما نريده . والوجدان شرط أصلى فى جميع الحالات النفسية حتى انه ليختلط بها ولا يتميز عنها لأن الحالات النفسية ليست شيئاً آخر غير حالات الوجدان

والثانى أى وجدان التأمل هو مراجعة النفس لذاتها بفعل القوة المدركة لتمتحن أعمالها بانتباه وحذر للوصول الى معرفة خالصة محكمة

أمالى الوجدان — هذا الوجدان تعرف منه الأمور الآتية :

أولاً — الحالات غير المادية التى تعرض لنا كالحزن والسرور واللذة والألم والشوق والأمل والفكر والذكر والعزم ونحوها

ثانياً — نعرف به وجود النفس ذاتها — فنعرف منه معنى جوهر ومعنى علة

اما كونها جوهراً أعنى كائناً قائماً بذاته لا تتغير بتغير أعمالها وحالاتها

---

(١) هو الحس المشترك عند فلاسفة الشرق

فلأن القائل متى قال انى أتألم أو أتفكّر كل ذلك مرجعه لأمر واحد هو نفس المتألم أو المتكلم أو المتفكر وهى واحدة لا تتعدد

اما كونها علة لغيرها فلانها مصدر الحركات النفسانية كلها

ثالثاً — ان الصفات الأصلية للأنّية (le Moi) هى الوحدة والذاتية لأن الوجدان واحد أما الظواهر الوجدانية فتعددة وهو دائم وذاتيته لا تتغير أما الظواهر فهى متغيرة زائلة

ومع ذلك فان هناك حالات باطنية تبقى غير مدركة وهى جميع الأحوال التى لا تتنبّه اليها أو التى يكون تأثيرها فى النفس غير كاف مثل النظر الى الشىء دون الالتفات اليه لاشتغال فكر صاحبه بأمر آخر ، وكذا سماع الأغانى دون الاصغاء لها . وكل ما يفعله الانسان أثناء نومه أو اذا عرض له جنون أو كان محموماً

وللوجدان درجات وتختلف قوته باختلاف هذه الدرجات نفسها والوجدان فى كل انسان انما يتعلق مباشرة بنفسه واعراضها فلا يمكن أن يتعدى الى ادراك الحالات النفسية للغير ولا الأمور الخارجية ولا ينفذ الى ادراك وظائف الجسم بل هذه الحقائق تصل الينا من طرق أخرى ومتى عرفناها استقرّت فى الوجدان استقرار باقى المعانى والأفكار فيه ولا تكون أبداً هذه الحقائق يقينية لأن الذهن لا يقبل الاّ ما جاء من طريقه

وشهادة الوجدان صحيحة مطلقاً لأنه لا يوجد بين الوجدان والحالات الواقعة تحت ملاحظته أدنى واسطة بل هناك وحدة بين الطرفين

(الفاعل والمنفعل) أى ان الفاعل المشاهِد والمنفعل المشاهَد شيء واحد لا يفترقان : أنا الذى أعرف وأنا الذى أُعرف وليس من المعقول ان ننكر على انسان انه يتألم وهو يشعر بأنه يتألم ولا انه يفكر فى شيء أو ينوى عمل شيء وهو مدرك لهذه الأشياء فى نفسه

فمشاهدات الوجدان صحيحة الاّ أن يصيبه عيب ينشأ من تأثير العادات الرذيلة والأوهام الضالة أو سوء التربية العقلية

وقد اختلف العلماء فيمَ هو الوجدان ؟ ففريق يقول ان الوجدان ليس بملكة خاصة انما هو قوة مجموعة من ملكاتنا أى أثر الملكات بجملتها فهو صورتها المشتركة وعين ماهية النفس البشرية . وفريق يقول ان الوجدان ان لم يكن ملكة فهو وظيفة خاصة يدرك بها الذهن أفعاله وحالاته بالروية والمراجعة

ولأصحاب الرأى الثانى ردود على الرأى الأول أهمها : اذا كان الوجدان مجموع الملكات أو ماهية النفس لصح القول بأنه كلما كان عمل الملكات قوياً كان الوجدان قوياً وتكون حدة الوجدان تابعة مباشرة لشدة الظواهر وتأثيرها . نعم هذا صحيح فيما يتعلق بالحسّ الشهوى كالألم مثلاً فان النفس يشتد شعورها به كلما توجهت اليه وفكرت فيه . أما فى الحس الظاهر وعمل الملكات الأخرى فان الوجدان يكون على عكس قوة التأثير وشدته أى انه كلما زادت قوة الشهوة قل تمييز الوجدان لها . مثلاً عند الغضب نرى الانسان غيره قبل الغضب كأنه يتخلص من ذاته فلا

يميز ما يفصل وعلى العكس من ذلك يكون الانسان صحيح النظر فصيح المنطق بليغ العبارة اذا فكّر فى نفسه قليلاً

وقال بعضهم موفقاً بين الرأيين : ان الوجدان على نوعين . الوجدان الذاتى ووجدان التعقل والروية . وحينئذٍ يمكن القول بأن هذا الأخير هو ملكة خاصة للقوة المدركة

اذا لم تتحقق شرائط الادراك فان النفس لا تدرك الظواهر ويبقى الوجدان جاهلاً لتلك الظواهر طبعاً وهو ما يسمى بجمود الوجدان

وأهم أسباب جمود الوجدان (ا) عدم الانتباه الحاصل من تأثير شديد لغضب أو خوف أو تحمس أو نحو ذلك. فيقف الانسان ناظراً فيما حوله ولكنه لا يبصره يخاطب فلا يجيب . وقد يصاب بجرح خطير ولا يألم (ب) افراط التأثير أو تفريطه — فان المجموع العصبى لا يشعر بالتأثير الضعيف جداً ولا الشديد جداً (ح) استمرار التأثير — فان الاحساس اذا كان على وتيرة واحدة واستمر مدة يَجْمد الوجدان وإن يبقى الشعور به حتى نهايته . كالحاصل من خطاب طويل أو صوت راتب كصوت مركبات السكة الحديد فانه ينوّم السامع أو الراكب على ان ذلك الصوت يوقظه لو انقطع فجأة (ء) تأثير العادة — فان الموسيقار مثلاً لا يشعر بحركات يديه ورجليه عند عزف الآلات الموسيقية

(ج) العقل

العقل (Raison) ويسميه الفلاسفة الشرقيون النطق هو جملة المبادئ التى يسير عليها الإدراك العقلى (Entendement) فى نظره وأحكامه أو هو الذهن من حيث هو مصدر الانظار الفكرية

والعقل بمعنى أخص هو ملكة يعرف بها العام والضرورى والكامل والمطلق واللانهاية ، أو ملكة يعرف بها ما عجزت عنه المشاعر والوجدان اعنى ما كان عقلياً بطبيعته كالخالق سبحانه وتعالى والنفس البشرية أو مادياً ولكن لا تتناوله الحواس كالجوهر والماهية والحقيقة والجمال فهو اذاً أرقى درجات القوة المدركة

وقبل الكلام على العقل سنوضح هنا مصطلحات الفلاسفة فى تفسير بعض الألفاظ ليسهل فهمها فنقول

الفرد والخاص والعام — الخاص يقابل العام ويتميز عن الفرد فهو وسط بينهما ومن المهم جداً التفريق بين الخاص والفرد لأن المناطقة يقولون بالانتقال من العام الى الخاص ولكن لا يكون من العام الى الفرد والفرد هو ما كان شيئاً بعينه أى المفرد ضد الجمع مثل فلان . هذا الحجر . هذه الشجرة

والخاص هو معنى يشمل أفراداً أو بعضاً من كل فيتعين به واحد أو عدة أشخاص لطبقة أو طائفة واحدةٍ مثل انسان ورجال ونساء ومعادن ونبات

والعام كالجنس يشمل طائفة من الأمور أو الكائنات من نوع واحد مثل الانسان والشجر والإرادة والأخضر. فاذا جاءنا معنى الانسان أو معنى الشجرة كان لكل انسان ولكل شجرة وهذا ما يسمونه بالمعانى العامة

والعام هو موضوع الإدراك مباشرة. لأن الحواس لا تدرك الاّ الخاص فالحجر مثلاً لا ترى فيه الحواس الاّ حجراً. أما الذهن فيدرك منه الجوهر والماهية وغيرهما لجميع الأحجار

الحادث[1] والضرورى[2] — الحادث هو ما جاز عليه الوجود والعدم أو ما صح وجوده على وجه آخر وما صح إنكاره عقلاً بغير وقوع تناقض أعنى بلا اثبات ولا نفى فى آن واحد

والضرورى — ما كان وجوده واجباً أى لا يمكن أن يتصور عدم وجوده ولا وجوده على وجه آخر فكل كائن وجد بغيره وسبب وجوده ليس فى ذاته هو حادث وذلك كالعالم الذى يمكن تصور عدم وجوده بلا وقوع مخالفة للفكر فهو ممكن وموجود ولكن ليس بالضرورى

وأما الخالق سبحانه وتعالى فهو الضرورى الوحيد لأنه العلة الأولى لجميع الكائنات المتصف بالكمال واللانهاية . واجب الوجود . ليس موجوداً فقط بل وعلة وجوده من ذاته وكل موجود بالضرورة على نوعين موجود بالضرورة المطلقة أو بالضرورة الاضافية فالأولى لا تليق الاّ بالخالق سبحانه وتعالى أولاً ثم بكل ما يخرج منه ماهية الأشياء والثانية

---

(١) الممكن فى ذاته (٢) الواجب بذاته

ما تعلق وجودها حتماً على غيرها من تحقيق شروط مخصوصة أو قانون معلوم أو مبدأ مقرر طبقاً لنواميس الطبيعة أى الروابط الثابتة التى تكون عليها الكائنات والظواهر نعم هذه النواميس ثابتة ولكنها ليست ضرورية ضرورة مطلقة بل ضرورتها مفروضة . أى ان وجودها فى ذاته ليس بالضرورة وانما لوجود المقدمات وجدت النتائج حتماً اذاً فوجود الكائنات فى العالم اما بالحدوث أو بالضرورة

أما بالنسبة لبنى الانسان فان الضرورة هى ما تعرف بالأدب : وهو ما تأمر به الإرادة ولكن بلا اكراه ومنه تعريف الواجب فى عرف الفيلسوف (كَنْت) حيث يقول بضرورة الرضوخ للقانون احتراماً للقانون

المطلق — والمتعلق بغيره

المطلق[1] — هو ما لا يتعلق وجوده على غيره او على شرط ما ولا يحتاج لغيره فى وجوده وعلة وجوده من ذاته — والمتعلق[2] بغيره ما كان غير ذلك

بين المطلق والضرورى فرق دقيق المتأمل وهو ان المطلق كائن بذاته والضرورى كائن فى ذاته والأول أى الكائن بذاته هو ما اشتملت ماهيته على وجوده بالضرورة . لا يستمد وجوده من غيره ولا يمكن تصور عدم وجوده فهو لذلك أزلى أبدى مطلق وهو الخالق سبحانه وتعالى والثانى وهو الكائن فى ذاته ما لا يوجد فى غيره او ما له وجود

---

(١) وعرفه علماء الكلام عندنا بأنه الماهية بلا شرط شىء

(٢) وهو ما يعرف فى كتب الملة بالمقيد

مستقل ومنفصل عن غيره وهو معنى الجوهر عند بعضهم

يقول بعض العلماء بأن من الأوليات والحقائق الأولية ما هو من قبيل المطلق لأنه لا يتعلق وجوده على شرط ما وهذه الحقائق ضرورية أزلية مثل مبدأ الذاتية ومبدأ العلية فهما من قبيل المطلق وكذا الحق والخير والجمال من حيث ماهياتها يعتبرونها من قبيل المطلق (مطلق نسبي بالقياس للخالق سبحانه وتعالى) أعني اذا كانت المخلوقات والتصورات والعواطف وأعمال الانسان تمثل الحق والخير والجمال ولو على غير صفة الكمال فان الفكر يتصورها خالصة من كل نقص واجبة الوجود لا تتغير مطلقة فى ذاتها

والقانون الأدبي مطلق ايضاً . اما اللذة والفائدة فليستا كذلك بل هما من قبيل المتعلق بغيره وهى الشروط المختلفة التى تكون علة لوجودهما

عود الى العقل :

فالحس باطناً كان او ظاهراً لا يتعدى دائرة الممكنات والأمور الخاصة دون العامة والمتعلقة بغيرها دون المطلقة

أما العقل فينفذ الى ما وراء الحقائق التى يدركها الوجدان والحواس — فيدرك الارتباط الضرورى بين الافعال والافكار ويتعدى الخاص الى العام ويرتقى فى نظره الى (الوجود المطلق) فمثلاً عند رؤية مصنوع قديم لا يسمح لنا العقل بالتردد لحظة بأن له صانعاً وأنه لم يوجد من تلقاء نفسه مع ان هذا الصانع قد يكون مجهولاً تماماً لا نعرف له

اسماً ولا زماناً ولا مكاناً كذلك كل نظرة الى السماء ذات البروج او الى هذا الفضاء العجيب تدل على ان له صانعاً عظيماً هو خالقه وحافظه جل شأنه ولو لم نره فى مكان ومن ذلك عرفنا علة العلل أى العلة الأولى للموجودات هذا ومن مشاهدة فناء الكائنات التى حولنا وتغيرها حكمنا بأن تلك الذات يجب ألاّ يلحقها تغير ولا نهاية ولذلك قلنا أنه عز وجل دائم لا أول له ولا آخر وان له الكمال المطلق حتى لا يستوى مع باقى المخلوقات فى صفاتها أو خواصها المعلومة

وبالعقل ميز الخالق سبحانه وتعالى الانسان عن جميع المخلوقات وجعله أعلا مرتبة من سائر أنواع الحيوان

وملكة العقل أهم الملكات فى تحصيل المعلومات البشرية فهى سراج الأذهان وترجمان المشاعر فمثلاً اذا خدعت العين بظاهر منظر النجوم فى السماء فلا يسلم العقل بأنها مجرد نقط مضيئة بل عرفها الانسان أجراماً سماوية كالأرض والشمس والقمر ونحوها وذلك من طريق العقل

وبالعقل يفرق الانسان بين الحق والباطل ويحكم على أفعال الإرادة بالمدح أو الذم وبالجملة يكون قادراً على التعلم والتفهم وتدبير الحياة

وللعقل حدود كباقى الملكات لأنه لا يفهم الى ما لا نهاية ولا يعرف حقائق جميع الكائنات بل يعترضه فى طريقه أسرار خفية فيما وراء الطبيعة وفى الطبيعة نفسها بل وفى الانسان نفسه

صحة تقريرات العقل — يُملى العقل من أحكامه الصحيحة كما يُملى الوجدان مشاهداته فلا يخطئ البتة ويؤيدها بأدلة واضحة المحجة فلا

يستطيع الانسان أن يغضى عنها جفنيه . قال الشهير (فينلون) للأذهان شمس تضيئها كلها كما تضيء شمس النهار ما حولها من الأجرام . . . . . وهذه الشمس لا يحجبها غيم الاّ ما يغشاها من شهواتنا . . . . . تهدى أهل الجهالة فى غياهب جهلهم وضلالهم . . . . . لا يضل عنها الاّ من كانت على أبصارهم غشاوة تضيء سبيل الحياة فتكشف لنا الغطاء عن أسرار الموجودات فلا نفرق بين شيء منها الا بنورها كما لانرى الأجسام الا فى ضوء الشمس

أسماء العقل المختلفة — للعقل أسماء تختلف باختلاف موضوع البحث وأسلوبه

أما من حيث الموضوع — فان كان للبحث عن الحقائق الخالصة أو النظرية والعلمية فيسمى **النظر العقلى** أو **الفكرى** وفيما يتعلق بالحقائق الأدبية والأخلاقية فهو **النظر العملى** أو **الضمير** وفيما يتعلق بالفنون الرفيعة وفن الجمال يسمى **بذوق الجمال** . وفيما يتعلق بالحقائق المسلم بها عند الجمهور أى الحقائق الأولية فيسمى **بالذوق المشترك** أو **الشعور العام** . وفيما يتعلق بحصافة الرأى وكياسته فى تميز الحق من الباطل يسمى **بالذوق السليم** أو **حسن الذوق** ولا يكفى الانسان ان يكون ذا عقل بل حسن استعمال العقل هو كل الحياة

أما من حيث الأسلوب — فيسمى **بقوى الحدس** اذا أُلهم حقيقة من الحقائق الأولية أو أولية من الأوليات ويسمى **بقوى الاستنتاج** عند النظر فيما أخرجته التجارب ومقارنة الأمور بعضها لاستخراج الحقائق

من مجموعها . وسنتكلم الآن عن موضوع قوى الحدس وهى الأوليات والحقائق الأولية . أما موضوع قوى الاستنتاج فنتكلم عليه فى باب قوة التحضير والأعداد

﴿ الأوليات والحقائق الأولية ﴾

الأوليات هى المعانى الضرورية الكلية المتخذة أساساً لآرائنا وحكمنا على الأشياء

هذه المعانى هى ادراكات الذهن البسيطة . بحيث يكفى للدلالة عليها لفظ واحد مثل قولنا : كائن . جوهر . علة

وتدرك الأذهان مثل هذه الأوليات بالتجاريب فمثلاً من الكائنات الحادثة عرفنا الكائن الضرورى ومما له نهاية ما ليست له نهاية ومن الناقص الكامل وهكذا كل فكرة حقيقة لا تأتى الينا منفردة بل تأتى منضمة الى غيرها من الأفكار المحسوسة والأفكار الأولية ليست من أمالى الحواس ولكنها جاءت بمساعدتها . وبسببها مثلاً اذا وقعت جناية قتل فأول ما يتساءل عنه ويرد على الذهن من الفاعل؟ (فكرة السبب) ثم ما السبب الدافع له على قتل أخيه ؟ (أى الغرض أو الغاية) ثم كيف حصل القتل وفى أى وقت ؟ (أى الزمان والمكان) ثم ما درجة التهمة ومسئولية القاتل قانوناً ؟ ثم ما نتيجة هذه الجريمة ؟ كل ذلك معناه اننا نقرر ضمناً بوجود السبب والغاية . . . . الخ حتى قبل الوقوف على حقيقتها

هذه المعانى سميت بالأوليات لأنها ترد على الذهن بمجرد استعمال

ملكاته وكذلك بسبب أهميتها لأنه بدونها يستحيل علينا أن نفسر أية تجربة أو نبدى رأياً أو نستدل على شيء من طريق العقل — قال لايبنز — الأوليات فى الذهن كالعضلات والأوتار فى الجسم

والأوليات الأصلية هى معنى الكائن والجوهر والعلة والغاية واللانهاية والزمان والمكان والمطلق والكامل

وهذه المعانى هى أساس جميع العلوم . فالهندسة بنيت على معنى الامتداد والفراغ . والحساب على معنى العدد . والجبر على الكمية . والميكانيكا والطبيعة على الحركة والقوة . والكيمياء على الجوهر . والفسلوجيا على معنى الحياة . وعلم الأدب على الخير . وما بعد الطبيعة على المطلق

ولهذه المعانى المختلفة أسماء مختلفة فى الفلسفة . فيقال المعانى الأولية أو الأساسية أو الغريزية باعتبار أنها تولد معنى كما يقول (ديكارث) و (لايبنز) ومعان أولية أو صور أولية اذا قلنا أنها سابقة على كل تجربة كما يقول (كنت) أو مقولات كما يقول (أرسطو) أو معان فقط وهذا ما نجرى عليه فى شرح نظرياتنا فى هذا الكتاب

الكائن — كل ما جاز عليه الوجود والعدم فهو كائن والبحث أو المعرفة التى يسعى وراءها الانسان لا تخرج عن دائرة الكائنات لأن الذهن لا يدرك المعدوم المطلق أى ما لا وجود له ولا يمكن أن يوجد ويقابلهما الممكن والمستحيل عند علماء الكلام

الجوهر — فى كل كائن مادى أو روحانى يجب أن يميز بين جوهره وأعراضه وبين موضوعه وصفاته وخواصه لأن جوهر الكائن هو مادته

المكوّن منها التى لا تتغير بل تبقى وراء الظواهر والاعراض . هو الكائن ملحوظاً فى ذاته سواء وجدت تلك الاعراض أو انعدمت

العلّة — العلة على العموم هى ما تولد عنها غيرها بفعْلها — لأنه بمجرد مشاهدة ظاهرة من الظواهر يطلب العقل معرفة سببها أى علتها ويرتقى الانسان فى تطلابه من العلل التى لا توجد من نفسها المسماة بالعلل الثانوية الى العلة الأُولى المستقلة بنفسها

كل ظاهرة تبدو وكل شىء يوجد يقتضى وجود فاعل أو علة فاعلية

الغاية — الغاية هى الغرض الذى من أجله وجد الشىء لأن كل فعل تمّ بروية وامعان يسبقه عادة سبب يحدد ارادة فاعله وهى غاية الفاعل التى يطلبها بعمله

اللاّنهاية — مشاهدة الكائنات المحدودة المعلق وجودها على غيرها البعيدة عن الكمال التى نشاهدها فى هذا العالم المحيط بنا توحى الينا فكرة وجود كائن كامل لا ينقصه شىء من صفات الكمال لا نهاية له مطلق الوجود أى لا يتعلق وجوده على شىء آخر بل وجوده بذاته وهو العلة الأولى لجميع الكائنات . تلك الذات العلية جل شأنه فاطر السموات والأرض وهو على كل شىء قدير — أما اللاّنهاية فى العلوم الرياضية فهى من المفهومات المجردة التى ليست لها حقائق تقابلها

الزمان والمكان — يراد هنا بالزمان والمكان الخياليان لا الحقيقيان والزمن الخيالى غير محدود وهو عبارة عن توالى الزمن الذى وجدت فيه الكائنات الحادثة — والمكان الخيالى هو الفضاء غير المحدود الذى تتصوره

مكاناً لجميع العوالم التى شاءت قدرة الخالق سبحانه وتعالى أن توجدها

وبالاختصار اننا نفهم من طريق العقل ان لكل فعل سبباً هو موجده وان الصفات والأعراض متغيرة ؛ أما الجوهر فلا يتغيَّر ، وان الحوادث تقع متتابعة فى مدد معينة ولكن الزمن غير محدود ، والفراغ الذى يحوى جميع الأجرام ممتد الى ما بعدها لأنه واسع لا نهاية له ، وان جميع الكائنات الحادثة تنعدم الاّ الكائن الأعلى الذى لا أول له ولا آخر وان الحقائق والخير والجمال الخاص ليست الاّ أشعة تلك الحقيقة وذلك الخير والجمال المطلق الأبدى الذى ليس كمثله شىء

والأوليات هى عناصر الحقائق الأولية

الحقائق الأولية — الحقائق الأولية أو المبادىء العقلية هى أحكام بُنيت على مناسبات لزومية بديهية بنفسها تصلح لأن تكون أساساً للاستدلالات العقلية

مثلاً : لكل حادث سبب . هذه حقيقة أولية تشمل معنى السبب وهى أولية من الأوليات كما تقدم

هذه الحقائق الأولية هى المعروفة بالمبادىء الاولية أيضاً

المبادىء المرشدة للمعرفة — وتسمى أيضاً المبادىء العقلية هى الحقائق الأولية التى يخضع لها العقل كى يؤدى وظيفته وهى معرفة ما وراء الحس والحكم عليه والاستدلال الذهنى الصحيح

وهذه المبادىء ان كانت للفكر سميت (بالمبادىء النظرية) وان كانت للسلوك الاخلاق سميت (بالمبادىء العملية)

والمبادىء النظرية تتلخص فى أمرين مبدأ الذاتية ومبدأ السبب الكافى :

مبدأ الذاتية — الشىء الواحد إما موجود أو معدوم ولا يمكن أن يقال انه موجود ومعدوم فى آن واحد والشىء لا تتغير ذاته بل يبقى هو هو بذاته وعينه

من مبدأ الذاتية يتفرع مبدآن — الأول مبدأ التناقض وهو ان الشىء لا يمكن أن يكون موجوداً ومعدوماً فى وقت واحد وبعبارة أخرى لا يمكن اثباته ونفيه فى آن واحد

الثانى — مبدأ التنافى — أى ان الشىء إما أن يكون موجوداً أو معدوماً صدقاً أو كذباً . شكاً أو يقيناً ولا وسط بين ذلك

ومبدأ الذاتية أساس العلوم الرياضية . لأنها ليست الا تطبيقات على هذا المبدأ . والمعادلات الجبرية جميعها وحدات متحدة الذاتية

مبدأ السبب الكافى —

أعم مبادىء التكوين مبدأ السبب المسمى بالسبب الكافى . وبيان ذلك : اننا لا يمكننا تصور أن شيئاً وجد من العدم أو وجد بغير سبب اقتضى وجوده — بمعنى انه لا شىء فى الوجود إلا وله سبب يُبيِّن لنا كيف وُجد ولِمَ وُجد وهما علته الفاعلية وعلته الغائية

مثلاً — الكائن الضرورى (واجب الوجود) أى الكائن الذى لا يمكن ألا يكون هذا وجوده من نفسه فهو وجد بنفسه ولنفسه واليه مبدأه وغايته

أما الكائن الحادث (الممكن) فليس سبب وجوده فى نفسه . لأنه قد لا يوجد . اذاً لزم ان يكون سبب وجوده ومبدأه وغايته أمراً خارجاً عنه . ولما لم يكن ازلياً اى واجب الوجود الاّ الكائن الضرورى وهو الخالق سبحانه كان هو السبب الكافى لجميع الممكنات التى خلقها بذاته ولذاته

لا يكفى فى وجود اى شىء ان يكون ذلك الشىء ممكناً أو ليس فى وجوده تناقض فقط بل لا بد له من سبب كاف لوجوده . ذلك السبب يشمل كون الشىء ممكناً فى ذاته وقريب التناول من الافهام اى مبيناً لِمَ خلق وكيف خلق ولذلك سمى مبدأ السبب الكافى بمبدأ المفهومية العامة

ومعنى المفهومية العامة ان كل شىء فى الوجود مفهومٌ له علة وجود وسبب بيانى وان كل شىء فى الوجود انما وجد مطابقاً لقوانين العقل اى بعلة هى فكرة عقلية كذلك ولا شىء ممكن الوجود بغير أن يكون وجوده مطابقاً لقوانين العقل . ذلك ما تتمسك به حيال جميع الكائنات فى هذا العالم وعليه تأسس العلم لأن العلم هو البحث عن الأسباب والعلل

ولما كان الذهن الانسانى فهيماً اى قادراً على فهم الأمور وادراكها بحقيقتها وكان العالَم مفهوماً معقولاً خالياً من التناقض تنطبق عليه مبادىء العقل وقوانينه وتتحقق فيه أصوله وأفكاره بلا عوج ولا استثناء . صح القول بأن العقل البشرى هو صورة (نفحة) من العقل الأزلى الذى أحسن كل شىء خلقه

يشمل السبب الكافى مبدأ العلية ومبدأ الجوهر ومبدأ النواميس الطبيعية ومبدأ العمل الأقل

مبدأ العلية ومبدأ الجوهر —

العلل — العلة على وجه عام هى العامل الموجد للكائنات أو الظواهر — تبع فلاسفة القرون الوسطى ارسطو فى تسمية جميع الشرائط العامة للكائنات باسم العلل

فالعلة عندهم بواسع معناها عبارة عن المبادىء المتعلقة بخواص الكائنات وعلاقاتها ببعضها

والعلل على اربعة انواع :

العلة المادية — ما جاءت جواباً لقولك مِمَّ صنع هذا الشيء

والعلة الصورية — ما جاءت جواباً لسؤال يخص صورته وماهيته مثل قولك كيف صنع ذلك الشيء

والعلة الفاعلية — هى جواب لكل سؤال يخص أصل الشيء كقولهم من الذى صنع ذلك الشيء ؟ وهذه هى العلة الحقيقية

والعلة الغائية — هى ما وقعت جواباً لسؤال يخص الغاية من صنع الشيء كقولهم لِمَ صنع ذلك الشيء ؟

اذاً يجب أن تتوافر شروط اربعة لوجود اى كائن طبيعى وهى المادة حيث لا شيء يوجد من العدم . والصورة لأن كل كائن لا بد من وجوده على نوع محدود . والعامل لأن الشيء لا يوجد من نفسه . والغاية لأن لكل شيء فى هذا الوجود غاية وجد من أجلها

مبدأ العلية — العليـة هى عمل العلة من حيث هى علة أو هى الرابطة الحقيقية بين العلة والمعلول والقاعدة التى تربط المعلول بعلته تسمى مبدأ العلية

ولايضاح ذلك نقول : لا يوجد حادث او معلول بلا علة . او كل معلول يقتضى وجود علة مناسبة أو لا شيء يبدأ فى الوجود بلا علة تتقدم وجوده . وكل تغيير أو تحويل يقتضى وجود علة تكون هى مصدر ذلك التغيير او التحويل

والظاهرة وهى كل تحويل أو حركة لا تكون الاّ حيث يوجد مستقر لها ثابت وهو ما يسمونه بالجوهر

ومبدأ العلية من قوانين الذهن البشرى التى لا تقاوم ولا يعتورها شذوذ ولا استثناء مطلقاً

العلة والجوهر — كل كائن علة وجوهر — فهو علة ما دامت فيه قوة كافية لحدوث ظواهر أو اعراض . وجوهر ما دام كائناً ثابتاً قائماً بذاته ممتازاً بخواصه وصفاته وأعراضه

فالجوهر الكائن الحقيقى (شخص أو شيء) والكائنات الحقيقية لها صفتان أصليتان « الوجود والفعل) لأن النشاط تتمة الوجود

فالنفس علة بالنسبة لأفعالهـا وجوهر بالنسبة لحالاتها واعراضها

مبدأ الجوهر — مما تقدم نعلم أنه بجانب مبدأ العلية يوجد مبدأ الجوهر المتفرع منه . وايضاح ذلك :

كل خاصية تلتصق بجوهر وكل عرض يحمله جوهر . تتغير أشكال

الكائنات وتتبدل أعراضها وخواصها ويبقى جوهرها ثابتاً لا يتحول

مبدأ العلة الغائية — معلوم ان الغاية من أى عمل هو الغرض الملحوظ فى عمله والعلة الفاعلية كما قدمنا هى قوة سابقة تكون سبباً لوجود الشيء أما العلة الغائية فهى فكرة قامت بذهن الفاعل وهى غرضه من وجود الشيء

ومبدأ العلة الغائية عند الفلاسفة هو المبدأ الذى نحكم بمقتضاه ان لكل شيء فى هذا العالم غاية وان لا شيء فى الوجود خلق عبثاً (وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين)

ودليلهم عند معارضيهم فى ذلك أمران : واحد من جانب الله تعالى حيث لا يجوز فى حقه تعالى أن يخلق ما لا غاية منه ولا حكمة فيه .

وواحد من جانب المشاهدة وهى مشاهدة الطبيعة وقوانينها

كل ما فى الوجود خلق بنظام : تناسب تام . وسائط منتجة . أوضاع محكمة . فكر مرتب . حركة دقيقة . فن باحسان وابداع

قال الشهير بوسويه :

لا نقرأ من ذلك النظام والتناسب والوسائط الاّ انه وجد لغاية . واذا لم يوجد لغاية فهو باطل ولا محل لوجوده . إن معنى النظام ومعنى الغاية وان لم يكونا معنى واحداً فان بينهما علاقة كالتى بين العلة والمعلول . حيثما وجدنا معلولاً حكمنا بوجود العلة وكذلك حيثما وجدنا نظاماً حكمنا بوجود الغاية . تسخر الغاية الوسائط ولكن معرفة الوسائط هى التى توصلنا لمعرفة الغاية

مبدأ الناموس الطبيعى — جميع الكائنات فى هذا العالم خاضعة لنواميس ثابتة عامة

وهذا المبدأ هو أساس العلوم الطبيعية (الكيميا والطبيعة والتاريخ الطبيعى وغيرها) والتجارب التى تمت فى هذه العلوم زادته بياناً وتحقيقاً فلم يعد للاعتراض عليه بعد قيمة

مبدأ العمل الأقل — يرتبط بمبدأ الغاية مبدأ آخر يسمى مبدأ العمل الأقل وهو ان الطبيعة تسير فى عملها من ابسط الطرق وأقربها وتنتج أقصى مفعول بأقل مجهود

فالطبيعة تقتصد فى عملها اقتصاداً تاماً فلا تسرف من جهدها ووقتها ولا تكثر من وسائطها وهى النواميس والعلل والملكات ونحوها بغير حاجة

والصفات المميزة للاوليات والحقائق الاولية هى انها لزومية عامة مطلقة بديهة

أما كونها لزومية فلأنه لا يمكن التفكر بدون الأوليات

والحقائق الاولية موءداها مناسبات أو علاقات لزومية بين الأشياء أعنى لا يمكن ان لا تكون ولا يمكن ان تكون بخلاف — مثلاً اذا حدث حادث فلا يمكن تصور حدوثه بغير علة لأن العلة لازمة للمعلول والمعلول لازم للعلة

وكونها عامة — أى يقول بها الجمهور وتؤثر فى حكمه على الأشياء لا يهدمها جهل أو وهم — يعمل بها من ينكرها بغير علم منه فيتعارض قوله وفعله

وكونها مطلقة — أى انها لا تتعلق بفرد ولا زمان ولا مكان

قال الشهير فيناون : لا شك فى وجود الحقائق الأولية حيث لم تكن غريبة عن عقل الانسان — فهى كضوء الشمس حقيق لا مرية فيه ولو كان الناس عمياناً . وقال غيره : توجد هذه الحقائق ولو لم يكن هناك عقول بشرية لتدركها . وقال بعضهم ولولا وجودها فى عقل الانسان بأصل الخلقة لكان كل استدلال عقلى باطلاً ومحالاً وانما يوجد فى العقل البشرى بعض حقائق وأصول أولية ومطلقة (اى مستقلة بذاتها لا يتعلق وجودها على شرط) هى أساس هذه الاستدلالات كمعنى الحق والخير وغيرهما

وكونها بديهة — اى واضحه بنفسها لا نزاع فيها يفهم معناها بمجرد النطق بلفظها — تضىء للعينين وتستولى على العقول ببداهتها ومن أنكرها فقد ناقض نفسه

وللأوليات والحقائق الأولية المقام الأول فى استدلالاتنا العقلية وأحوال حياتنا الأدبية . قال الشهير بوسويه : انها تقودنا من حيث لا نتعب فى التفكير فيها كما نتحرك بفضل أعضائنا وعضلاتنا وما كنا لنعلمها من قبل

وهى مبادئ العلوم كافة كما قدمنا . وبفضلها نحاجّ المكابرين ونفهّم الجهال حقائق الأمور ونفض المنازعات والخصومات الجدلية وهى علة التآلف بين الناس على اختلاف منازلهم وأزمانهم بل هى الرابطة الطبيعية بين الانسان وخالقه سبحانه وتعالى

كيف تحفظ المعانى فى الحافظة ؟

تأثير الأشياء على اعضاء الحواس أوحى لقدماء الفلاسفة اقتراض وجود عناصر مادية فى الأجسام توجهها الى جميع الأنحاء فتصيب أعضاءنا بتأثيراتها . ويسمون هذا الصدور الذى يؤثر فى حاسة البصر بوجه خاص بالمعانى الصور (Idées-images) اى المعانى المرتسمة فى النفس ارتسام الصورة فى المرآة

وعلى هذه النظرية يكون المخ مستودعاً تتراكم فيه المعانى الصور. على ان الأشياء لا ترسل للمخ الاّ مرکات أو اهتزازات كما يقول الفسلوجى الانكليزى (هرتلى) وان جانباً من هذه الاهتزازات يبقى بالمخ أحياناً زمناً غير محدود كاهتزازات الضوء مثلاً

وهناك نظرية اخرى للشهير (ديكات) وهى نظرية الاثر المخى أو الطابع المخى الذى يحدثه الحس فى المخ كتأثير الصوت فى الفونوغراف

أما ابحاث العلماء المصريين فتختلف كل الاختلاف عن هذه النظريات ويؤكد بعضهم ان حفظ المعانى ناشئ من فعل الحركة الحيوية للخلويات العصبية (Les neurones)

الفصل الثانى

فى قوة الحفظ

تحفظ القوة المدركة ما تحصل عليه من المعلومات وترتبها بثلاث قوى ثانوية : وهى الحافظة . وتداعى المعانى . والتخيل

(١) الحافظة

الحافظة هى قوة يستبقى بها الانسان المعانى التى يحصل عليها فيذكرها متى شاء ويتثبتها متى ذكرها

فتختص الحافظة أو الذاكرة بتغيرات النفس الماضية أعنى الحالات الوجدانية التى تتولد من الظواهر النفسية فيما مضى فكأن الحافظة وجدان دائم

فنذكر ما نراه ونلمسه ونسمعه وجميع الانفعالات التى نتكبدها والأعمال التى نعملها والأفكار والآراء التى نبديها — وفى الحقيقة ان الانسان بتذكره ذلك انما يتذكر نفسه أولاً فيتذكر الحوادث بالتبع — وهذا سر اختلاف الناس عند ذكرى الحادث الواحد . لأن كل انسان يرى اى حادث كان من خلال شعوره وعواطفه الخاصة

ولكنا نجهل كيف تحفظ النفس تغيراتها الماضية — الاَّ أن المفهوم ان هذه المعلومات التى نحصل عليها انما تنتقش فى الذهن كثيراً أو قليلاً وتبقى

كامنة فيه حتى تخرجها المناسبات والظروف

والذكر أو احياء الافكار يأتى من ثلاثة طرق . اما ان ترد الذكرى من نفسها او من تداعى المعانى أو بالارادة وشرائط صحة القوة الحافظة اثنتان — فسلوجية ونفسانية فالأولى — هى صحة البدن وحالة المخ

دل الاختبار على أن المرض والافراط المضر بالصحة أو المؤثر فى القوة الحيوية للجسم يضر بالفهم وعلى الاخص بالحافظة

والمخ سلطان قوى على الحافظة لا يدرك كهنه ولا تعلم طريقته وجميع الحوادث المخيّة وضعف المجموع العصبي يؤثر فى الحافظة تأثيراً بيّنا — حتى لقد شوهد كثيراً أن رجلاً لم يذكر اسمه عقب ضربة أصابته فى رأسه

والثانية — الانتباه وتداعى المعانى لأن الانتباه التام شرط اساسى للحافظة واتصال الافكار بعضها ببعض يسهل الذكر وتفككها يورث النسيان

والحافظة على ثلاثة أنواع — حافظة للمحسوسات وهذه يشترك فيها الحيوان والانسان ، وحافظة للمعقولات وهى خاصة بالانسان دون غيره من المخلوقات ، وحافظة للكلمات والتواريخ والالوان

والحافظة الجيدة هى التى تكون سهلة الفهم صادقة الحفظ سريعة الذكر . وقلما تجد هذه الشروط معاً فانك ترى هذا سريع الفهم سريع النسيان وذاك بطئ الفهم بطئ النسيان

والحافظة الجيدة ضرورية فى الحياة البشرية والأعمال الذهنية فهى شرط التعليم والنجاح — لأن الحواس والمشاعر تملى علينا الحاضر من

الأشياء وأما الحافظة فللأشياء الماضية وبدونها نفقد جميع المعلومات التى حصلنا عليها ونبقى جهلاء كما ولدتنا أمهاتنا

وعلى قوة الحافظة بنى الانسان أعماله الخاصة بالفنون والآداب بل هى مادته فيها، والذهن الذى ينقطع عنه سلسال القوة الحافظة ينطفىء نوره ويحبط عمله أو كما قال (شاتوبريان) ان الفضل الأكبر فى تكوين القرائح لما تجمعه وتعيه

وسائل تقوية الحافظة — يجب على كل انسان أن يقوى حافظته بالعناية التامة بالدرس والتحصيل لتكمل وتزداد بالطرق الآتية :

(١) بالتكرار والمران — بأن يطالع كل يوم بضع صحائف ويردد ما يريد حفظه من المعلومات غير مرة . لأن كل قوة من قوى الذهن ككل حركة لأعضاء الجسم — توجد فينا ميلاً أو استعداداً غريزياً لاستعمال ذلك العضو . هـذا الميل أو الاستعداد تختلف قوته ونشاطه باختلاف الرياضة والتكرار

(٢) نظام المطالعة — وذلك بترتيب الأفكار والمعلومات وربط بعضها ببعض — بأن يطالع الانسان وبيده قلمه لوضع الاشارات تحت الكلمات أو الجمل الواجب لفت النظر اليها وتدوين المذكرات والملخصات عما يهم المطالع فى ابحاثه التى يميل اليها — لأن الاقتصار على مجرد المطالعة كالكتابة على الرمل لا تلبث ان يزول اثرها من الأذهان كما تزول تلك من الوجود

أمراض القوة الحافظة — يضر بالحافظة أمران — الذهول والاجهاد

أما الذهول فينشأ من مرض يصيب المخ أو ضربة على الرأس ومن الحميات المخية ونحوها ويجيء تاماً أو جزئياً فجأة أو تدريجياً وقتياً أو مستديماً

وعند الشيوخ تفقد الحافظة قوتها بنظام يخالف نظام تحصيل معلوماتها بمعنى انهم يرجعون الى حالة الطفولة فلا يبقى فى أذهانهم الاّ معلوماتهم القديمة وما يذكرونه عن أيام طفوليتهم

وكذلك يضر بالحافظة اجهادها بتناول المواد المخدرة كالأفيون والمرفين والكحول والسهر الطويل

ومن الغرائب ما حكاه الشهير (تين) فى كتاب (الذكاء) من أن خادم أحد سفراء اسبانيا كان يحضر أحياناً مجالس المناقشات الهامة لخدمة سيده ثم تبين أخيراً انه لا يعى شيئاً مما قيل أمامه — حتى اذا ما أصيب بحمى مخية وجاءته نوبتها وأخذ يهذى هذيان المحموم قص بعض المحاورات بدقة وترتيب مدهش ثم لما شفى ورجع المخ الى حالته الأولى عاوده النسيان

(ب) تداعى المعانى

تداعى المعانى يسمى اشتراك الخواطر أيضاً هو ملكة من ملكات العقل متى ذكرت معنى جاءك معنى آخر لتشابه بينهما أو اتحاد فى موضوعهما — وكثيراً ما تأتى الفكرة أيضاً بظواهر نفسانية مختلفة كتحريك عاطفة من العواطف أو ذكرى صورة من الصور أو أحياء رغبة من الرغبات ونحوها

ويأتى تداعى المعانى من تقاربها أو تجاورها بسبب ورودها للذهن فى وقت واحد أو متعاقبة — لأن كل فكرة تتولد فينا تذكرنا حتماً بأفكار أخرى مرتبطة بها — مثلاً الشطر الأول من بيت شعر يذكرنا بالشطر الآخر ومطلع القصيدة يذكرنا بالقصيدة كلها وهو ما يسمى عندهم (بقانون الإقتران) اعنى تلاصق المعانى بعضها ببعض فى الذهن

الصور الخاصة لتداعى المعانى — يأتى تداعى الصور والمعانى من ارتباط بعضها ببعض بعلاقات مختلفة . هذه العلاقات أما خارجية أو داخلية

أما العلاقات الخارجية فهى :

أولاً — العلاقات الطبيعية أو التلازم العقلى (ا) علاقة العلة بالمعلول وبالعكس فان تذكر النار يذكرنا بالاحتراق والإلتهاب بالبارود (ب) علاقة اللازم بالملزوم والأصل بالفرع والشامل بالمشمول وبالعكس . مثلاً فكرة الحرية والإختيار تجر الى فكرة المسئولية ومذهب الجبرية يذكرنا بسلب الإختيار (ح) علاقة الواسطة بالغاية وبالعكس كالمحراث يذكرنا بالحرث . والجناح بالطيران

ثانياً — العلاقات الإتفاقية العرضية — (ا) علاقة التشابه والتضادّ كالتى بين اعدام لويس السادس عشر ملك فرنسا وشارل الأول ملك انكلترا . والسلم والحرب . والحب والبغض . والحرية والإسترقاق . (ب) علاقة الإقتران الزمانى أو المكانى كالتى بين شرلمان وهارون الرشيد وبرزخ السويس وقنال السويس

ثالثاً — العلاقات الوضعيه الإصطلاحية . كالعلم والوطن — والشهادة والعالمية

أما العلاقات الداخلية أو الفردية التى ترد على الأذهان لأسباب خاصة فهذه تختلف باختلاف كل إنسان ولا يمكن حصرها ولا فائدة منها للعلم

لتداعى المعانى مكانة عالية فى الحياة العقلية والأدبية فهو الذى يسهل للقوة الحافظة وظيفتها ويساعد قوة التخيل على التصوير والتشكيل — كما أن له مضار قد تكون جسمية فتؤدى الى ارتباك الحياة وثقلها بتولد الأوهام الكاذبة والحب والبغض والجرائم وغيرها مما تضطرب له الحياة الإجتماعية فكيف تكون الحياة اذا تورط الإنسان فى أن العمل متعب والانتقام يرد الشرف . والإنتحار شجاعة . وسوء الظن من أقوى الفطن . واحتقار القوانين والشرائع حرية . والبطالة والغنى والعزلة التامة سعادة وهكذا

والإنسان ولو بلغ أرذل العمر يكون حيث طبعه تداعى المعانى فى طفولته غالباً فإن كان خيراً سلم عقله وقلبه وعرف سبيل السعادة وان كان شراً انطبعت نفسه على السوء وأفسد من أمره وشرفه وتسممت حياته

فالواجب أن يصلح الإنسان من نفسه قبل فوات الوقت باجتناب النتائج السيئة لاشتراك الخواطر السيئة المرتكزة على التورط والتفريط والخروج عن المألوف

ومصدر الأفكار الرشيدة : مطالعة الكتب الثمينة ومجالسة العقلاء

المفكرين وذوى السريرة القويمة الرحيمة فان ذلك كله مما يقوى ملكة الذوق ويغرس عادة التلازم الخيّر الرشيد

ومصدر الافكار السيئة: اضطراب النفس على الاخص وتغلب الملكات الثانوية: كالتخيل والحساسية على الملكات الاصلية وهى العقل والارادة. لان الفكر كالعمل يقتضى توازن قوى النفس حتى تحفظ تناسبها وتصان مراتبها فانه بذلك التوازن والتناسب ورعاية النظام الرتبى للملكات النفسية يعرف تفوّق اهل الفنون

من الاحكام القاسية تقدير الناس بما يظهر على ملامحهم من علائم الهدى والضلال على أن ذلك لا يمنع من أننا قد نقرأ فى جبين الكثير من الناس ما يدل على حقيقة بواطنهم فانه بين الملامح والاخلاق ارتباط شديد فى كثير من الناس

(ج) التخيل

التخيل هو ملكة الأبتكار والاختراع

والتخيل لا يجئ من العدم فان الله وحده هو الذى اوجد من العدم جميع الكائنات — بل لا بد للمتخيل من مادة تخرج منها الأفكار والتصورات هذه المادة يحصل عليها بقوة التحصيل كما قدمنا فما تعيه القوة الحافظة من الأفكار والصور فى الخيال هو مادة التخيل — يحلل فيها ماشاءت قوته وينوعها من فكرة الى صورة الى مزجهما ببعضهما بنقص أو زيادة أو تجريد وهكذا فتراهم مثلاً يمثلون الأجسام الروحانية والأفكار بصور

مختلفة كأنها محسوسات فيرمزون للملائكة باشخاص عليها مسحة الشباب والجمال وذوى أجنحة أشارة الى اختراقها الفضاء الى السموات العلى . وللروح بنور يغالب ضوء الشمس وللموت بهيكل عظمى بيده منجل أشارة الى حصده الأرواح وهكذا . ويسمى هذا بالتخيل الاختراعى مقابل التخيل الحضورى وهو حضور صور المدركات الحسية والوجدانية فى الخيال وملكة التخيل تسمى بالمخيّلة

ويقوى التخيل بالتأمل والدرس

ومتى كان التخيل على نهج العقل والذوق أصبح جزيل النفع حميد الغاية فى الحياة البشرية — فهو الذى يخفف آلام الحاضر ومتاعبه باحيائه الأمل فى المستقبل أن يكون خيراً منه

(أعلل النفس بالآمال أرقبها ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل)

ويُحببنا فى الشجاعة والكرم ولولاه ما وجدت الأكتشافات والاختراعات التى هى نعيم الحياة وهو رائد العلماء فى أبحاثهم والصناع فى معاملهم وهكذا المهندس والنقاش والنحات والأديب فى اخراج كنوز القرائح واستنطاق الطبيعة وكشف أسرار الكون وابراز امهات الاعمال فى كل فن ومطلب

أما اذا ترك التخيل وشأنه بلا مرشد يهديه ولا زمام يقوده أخلّ بنظام الحياة حيث يتعذب كل طماع هلوع لا يشفى غليله إلاَّ أن يكون له دون غيره ما هنالك من الدرجات والمراتب العلية موصولة لواحقها بسوابقها لا يتسامح للدهر ان يتغافل عنه يوماً وليلة ويضل المخاطر فيتيه فى دياجى أوهامه المهلكة — وتذهب من ذوى العقول عقولهم فيضلوا

سواء السبيل وتهلع قلوب الضعفاء بمرض اليأس والقنوط ويضاعف الغلو آلام المنكوبين فتشتعل الاوهام الباطلة فى رؤوس ضعاف الاحلام فتورثهم الضجر والملل والمخاوف الكاذبة والوساوس السخيفة التى تؤدى الى السخرية والخبل وعدم الثبات والعياذ بالله

وللبيئة أثر محسوس فى تكوين الذوق وهو ملكة تنشأ من تعود التخيل على وجه خاص . فمثلاً تخيل شعراء بلاد العرب يخالف تخيل شعراء العراق وتخيل هؤلاء يخالف تخيل شعراء الاندلس وهكذا والذوق يختلف أيضاً بإختلاف الصناعات كما لا يخفى

الفصل الثالث

فى قوة التحضير والأعداد

يُعدُّ الفهم المعلومات المكتسبة المختزنة فى القوة الحافظة أى يهيئوها ويقويها وينوعها بملكة التفكر وطريقها الأنتباه والتجريد والموازنة والتعميم والحكم والقياس العقلى (النظر)

(١) الإنتباه

الإنتباه هو استحضار قوى الذهن وتوجهها نحو الشئ لإجادة فهمه وليس للانتباه موضوع خاص وإنما هو شرط أساسى لكل المعلومات التى يسعى وراءها الانسان

والأنتباه أما أصلى أو عرضى

فالإنتباه الأصلى ما كان باستعمال المشاعر والملكات للعلم والفهم قصداً — فلا يكفى فى الإنتباة أن ينظر الأنسان الى الشئ بنظره فقط بل ينظره وقلبه حاضر ليبصره وكذلك فى السمع واللمس والذوق والفكر . . . . الخ أعنى وجود الإرادة أو اشتراكها مع الحواس والملكات شرط فى صحة الإنتباه

قد يؤدى الى الإنتباه جمال الشئ أو أهميته الحقيقية أو الإعتبارية أو خاصية فيه ولا يكون للارادة فى ذلك نصيب . غير أن هذا النوع من الإنتباه جدير بأن لا يسمى إنتباهاً وإنما هو تلهى لترويح النفس أو مشغولية لصرف الوقت أى إنتباه عرضى

والإنتباه العرضى يزول فى الحال كما عند الأطفال وضعاف العقول مهما طالت مدته

والإنتباه الجدير باسمه ما كان شبيهاً بإنتباه الشهير نيوتن وغليليه والخليل بن أحمد حين تنبه لوضع العروض عند سماعه الحدادين يضربون السندان ضرباتهم المرتبة المعلومة

سئل (نيوتن) مرة كيف كان اكتشافك لقوانين التثاقل قال لأنى أطلت التفكر فيها

والإنتباه على ضروب — فهو انتباه اذا أصغيت لحديث زميلك أو معلمك — ومشاهدة — عند البحث فى خواص الأشياء المادية كما يبحث علماء الطبيعة والكيمياء فى الظواهر الكونية . ورؤية اذا راجع

الذهن نفسه عند النظر فى غير الماديات كما يفكر الرياضى فى المسائل الرياضية والفليسوف فيما وراء الحس ومبادئ الأخلاق وضاقره — اذا ناقد الخطيب خطبته والشاعر شعره قبل القائه والقائد خطته قبل هجومه

ويدخل تحت الإنتباه تأصرت المصورين فى جمال الطبيعة والمتصوفين فى الكون وخالقه سبحانه وتعالى

وللانتباه تأثير فى الحساسية والقوة المدركة والأرادة

أما تأثيره فى الحساسية فأما أن ينهض به أو يضعفه فقد يوقف تأثير الجوع والظمأ والآلام مدة غير قليلة — حكى أن رجلاً كان مريضاً بداء النقرس ومولعاً بلعب الشطرنج فكان يضيع منه ألم المرض عند لعبه والإنتباه دواء شاف للشهوات . وأحسن طريقة أن لا تصادم الشهوات مصادمة ولكن بتحويل الذهن لغير موضعها بالاشتغال بعمل من الأعمال أو التلهى بأمر آخر أو السياحة لجهة أخرى قال الشهير يوسويه الشهوات كالغدير يسهل تحويله ولكن يصعب إيقافه بسد مجراه

والانتباه يزيد فى قوى العقل فنفهم ونعى جيداً كلما يلقى علينا وندرك أسرار ما يقع تحت أنظارنا قريباً كان أو بعيداً واضحاً أو غامضاً فما دام الانتباه لا يفوتنا شىء البتة

والانتباه يُعين الارادة على وزن العلل والأسباب ايجاباً وسلباً فتُصدر عن روية وتورد بحزم — قال يوسويه : الانتباه يجعل المرء خطيراً مهيباً بصيراً — ولذلك كانت مسئولية الانسان بقدر انتباهه فيما اقترف

ولا يكون الانتباه تاماً منتجاً الاّ بشروط ثلاثة (ا) ان يكون قاصراً على موضوع واحد يفصل أجزاءه بالتحليل لأنه بغير التحليل لا يحصل الانسان على معلومات حقيقية واضحة (ب) أن يكون بعزم فالانتباه يحتاج حتماً لمعونة الارادة واشتراكها معه لأن الانسان لا يملك ملكة الانتباه من أول وهلة بل بالاعتياد والمران على ذلك (ج) أن يكون مستمراً وبغير إجهاد لأن الإجهاد يتعب النفس ويخمد قوتها فلا ينتفع بها ويكفى لترويح النفس انتقال الذهن من موضوع لآخر

(٢) التجريد

التجريد من عمل الذهن حيث يبحث فى الشيء من احدى خواصه التى فى الحقيقة لا يمكن أن توجد منفصلة أو منفردة

وهو نوع خاص من الانتباه

فالبحث عن الارادة دون الفكر أو الاحساس مثلاً أو البحث عن مادة الحديد دون خواصه من وزن وشكل ولون وكثافة أو البحث عن أية خاصية من هذه الخواص دون غيرها كل ذلك يسمى تجريداً

ولما كان العقل الانسانى لا يقوى على فهم حقائق الاشياء مجتمعة لقصوره اضطر الانسان الى التجريد أى بحث كل خاصية من خواص الاشياء واحدة بعد أخرى ثم ينتزع من صفاتها المتماثلة أو المتباينة أمراً عاماً كالانسانية والحيوانية مثلاً

والعلوم كلها مؤسسة على قواعد التجريد فالهندسة مثلاً تبحث عن

المساحات والجبر عن روابط الكميات والميكانيكا عن الحركة وهكذا علوم الضوء والصوت والاخلاق والاقتصاد والاجتماع وليست الاشياء كلها قابلة للتجريد بل ان كثيراً منها مجردة بذواتها كما توجد كائنات حقيقية ليست مجردات مطلقاً كالروح وخالق الوجود سبحانه

المعانى المجردة والمعانى المحسوسة — كل تعريف نحصل عليه بطريق التجريد يسمي معنى مجرداً . والوسائط الأصلية للمعرفة وهى الحواس والوجدان والعقل توصل دائماً الى المعرفة بصورة محسوسة أى معرفة مجملة غير واضحة فالكائن نعرفه بخواصه المختلفة وكذا الحس وكل عاطفة من العواطف أو ظاهرة من الظواهر انما نعرفها بظروفها وعللها . وهذه المعرفة الأولى هى المسماة بالمعنى المحسوس ثم يأتى المعنى المجرد وهو الذى يبين لنا جنس الكائن أو الظاهرة أو العاطفة ونوعها

(١) ولا يختلط عليك المعنى المجرد بالمعنى العام فان الأول جنس والثانى نوع فكل معنى عام مجرد ولا عكس مثلاً لون تفاحة بعينها أو شكل خوخة بعينها من المعانى المجردة أما لون التفاح أو شكل الخوخ أو مطلق لون أو مطلق شكل كلها معان عامة

(٢) وكذا المعانى المجردة ومعانى الامور التى فوق الحس الفرق بينهما عظيم لأن الصورة واللون والوزن كلها أمور محسوسة ومعنى الصورة واللون والوزن التى هى صفات انتزعها الفكر من الأشياء معانٍ مجردة

أما معنى النفس وخالق الوجود اللذان هما من الكائنات التى فوق الحس فهما من المعانى المحسوسة لا المجردة

والفرق بين التجريد والتحليل ان الأول يبحث عن خاصية أو خاصيتين في الجوهر وأما الثاني فهو تحليل الخواص بأجمعها للجوهر الواحد . فالتحليل عام والتجريد خاص

(٣) الموازنة

الموازنة من عمل الذهن وهي مقارنة بين شيئين أو اكثر لمعرفة التناسب بينها

والموازنة تقتضي أولاً وجود شيئين بينهما تشابه واختلاف معاً لأنهُ لو لم يكن بينهما تشابه فالموازنة بينهما لا تجيء البتة ثانياً تجريد كل منهما على حدته لمعرفة الاختلاف بينهما ثالثاً حضور صفاتهما في القوة الحافظة

وترد الموازنة في غالب المعقولات (١) بالموازنة تعرف جيداً حقائق الأشياء بتبيان المشابهات والمناقضات بينها فالحكم على لونين مثلاً لا يجيء بغير وصفهما بجانب بعضهما

وبالموازنة تتجلى الأفكار في الانشاآت وتطلى المعاني بجمال التعبيرات وتبرز للعيان بروز المحسوسات ولولا الموازنة ما كانت بلاغة الكلام من استعارة وتشبيه ومجاز وكناية ومحسنات لفظية ومعنوية . . . . الخ (٢) والموازنة هي مصدر جميع المعاني التي نستبين منها العظمة والعلو والصغار والاسفاف والتقدم والتأخر . . . . الخ (٣) والموازنة هي أساس التعميم والحكم والقياس العقلي كما سترى ، كما ان التجريد أساس الموازنة

(٤) التعميم

التعميم من عمل الذهن ايضاوهو ادخال عدد غير محدود من الكائنات والأفعال فى حدود معنى واحد يكون مشتركا

والتعميم مصدره الاستقراء والتجريد والموازنة

فالمحسوسات والمرئيات والطعوم والمسموعات والروائح والاعطار اى كل ما يقع تحت الحواس سميت بالمحسوسات

وما عداها سميت بالمعنويات او الروحانيات

وكذلك جميع الحيوانات ما أكل منها اللحم سمى آكل اللحم ، وما رعى النبت سمى آكل العشب وما تعددت معدته بالحيوانات المجترة وهكذا مثل هذه المعانى تدعى المعانى العامة او المفهومات العامة

وملكة ايجاد المعانى العامة اختص بها الانسان دون سائر الحيوان — لان الحيوان ليست له معلومات الا من طريق الحس اى فى دائرة ضعيفة جداً لا تتعدى دائرة التجربة المحسوسة

اما مجال العقل الانسانى فغير محدود — فانه باستقراء المحسوسات أمكنه الوصول الى معانٍ تشمل صنوف الموجودات صنفاً صنفاً فمثلا من النظر فى افراد الانسان وصل الى معنى الانسانية ومنها الى معنى الكائن الروحى وهو الانسان والملائكة وخالق الوجود .

وبالاستقراء وبحث الظواهر أوجد قوانين نظام الظواهر المتشابهة وكيف تتولد فى العالم

ويفرق العلماء بين المعنى العام والمعنى الكلى فيقولون أن الأول يأتى من الاستقراء اى التجربة والاختبار كاطلاق المحسوسات على كل ما يقع تحت الحواس والثانية تأتى من طريق العقل لانها تدل على مبادئ او قواعد بديهية تناسب جميع الكائنات مثل قولنا ان لكل كائن علة لوجوده وناموساً يخلق على اصوله. فكرة جاءت من طريق البداهة لا من طريق التجربة كالفكرة العامة التى لا تشمل الا جنسا او نوعا من الكائنات او الحقائق الحادثة او المفروض لزومها مثل نواميس الطبيعة والمعنى الكلى يدل على حقائق مطلقة لزومية لا تتغير كالحقائق الأولية وماهيات الكائنات مثلاً

وللمعانى العامة درجات تختلف كثرة وقلة مثلاً ما يدخل فى مفهوم هذه الكلمات جنس . نوع . صنف . طبقة . فئة . ضرب . فان مدلولها يكوّن متوالية تنازلية من حيث عدد الكائنات التى تشملها كل كلمة منها . ومتوالية تصاعدية من حيث صفات وخواص هذه الكائنات

وهاتان الدرجتان المتعاكستان تسميان بالسعة والقيود (الصدق والشمول) وهما خواص المعانى العامة

فسعة المعنى العام هى عدد الكائنات التى يشملها ذلك المعنى فقولنا مثلاً الانسان يشمل جميع الناس فى الماضى والحاضر والمستقبل بيضاً وسوداً وصفراً

وقيود المعنى العام — هى مجموع الصفات الأساسية التى تقتضيها تلك الفكرة مثلاً معنى الانسان يراد به شروطه الأربعة أى الجوهر والحياة والحس والعقل

وكلما زادت السعة نقصت القيود وبالعكس فقولنا الحيوان يشمل عدد الحيوانات الموجودة على ظهر الأرض أما اذا قلنا الأسد فلا يتناول الاَّ نوع الأسد المعروف دون غيره من سائر الحيوان

وفائدة التعميم للعلوم لا شك فيها لأن كل علم مبنى على جملة معان عامة مسهلة لفهمه ولولاها لكانت العلوم عبارة عن أسماء لا نهاية لها . وأما التعميم فيشقها طوائف سهلة الحفظ قريبة التناول من العقول البشرية ؟

والتعميم لا يقل فى أهميته عن الحكم والقياس العقلى فى المعقولات فكيف يدلل الانسان ويمضى حكمه ويترقى من الظواهر الى نواميسها بلا اشتراك التعميم ؟ اللغة بذاتها لا تقوم بغير التعميم والاَّ كانت كلمات واصطلاحات لا تدخل تحت حصر ولا يمكن أن يعيها الانسان — واعتبر ذلك فى اسم الجنس (وكل اسم جنس معنى عام) فانه يقوم بقسم عظيم من قواميس كل لغة من اللغات

(٥) الحكم

الحكم عمل من أعمال الذهن به يقرر ثبوت حالة الشىء وانتفائها عنه أى الحكم بوجود توافق أو تناقض بين معنيين — والحكم هو العمل التام للفكر البشرى

لأن الحس ليس كل المعرفة بل هو فرصتها ومادتها . والصورة ليست الاّ صدى الحس . والانتباه عمل تحضيرى للمعرفة . والقوة الحافظة تحفظ المعرفة وتخرجها عند الطلب . اذاً لا تكون المعرفة الاّ حيث يميز

العقل الحس والصور ويقارن بينها ويرى العلاقات التى تربطها ببعضها بعضاً أو بعللها أو بالعقل نفسه . ويؤكدها

ولكل حكم مادة وصورة . فالمادة هى الشىء الواقع تحت حواسنا أو الأفكار العارضة لنا . والصورة هى العلاقة التى يراها الذهن بين الموضوع والمحمول وهو عمل خاص قائم بذاته بل هو الركن الأساسى للحكم . به يؤكد الذهن هذه العلاقة ويعتقد صحتها

ومما تقدم يتميز الحكم عن شيئين آخرين وهما **الحس وتراعى المعانى** وقد خلط بين الثلاثة فلاسفة المذهب التجريبى (l'école empirique)

لكل حكم ثلاثة عناصر : (١) معنى (لكائن أو لجوهر) يراد اثبات صفة له أو نفيها عنهُ (٢) معنى آخر (لصفة أو لعرض) يراد اثباتها للمعنى الأول أو نفيها عنهُ (٣) تأكيد العقل لما بينهما من المناسبة أو نفيها كقولنا الأرض تدور حول الشمس والشمس لا تتحرك

والحكم اما أن يكون بالبداهة أو بالنظر (التأمل)

فالأول مثل حكمنا على الشمس انها جسم مضئ . والخط المستقيم أقرب مسافة بين نقطتين — والدائرة خلاف المثلث . وان فعل الخير واجب على كل انسان أعنى المعانى المحسوسة أو الخاصة التى يعرفها الانسان بالحواس أو الوجدان

والثانى ما جاء من مقارنته بمعنيين من المعانى المجردة أو العامة مثل قولنا ان مجموع زوايا أى مثلث يساوى مجموع زاويتين قائمتين وان السوائل تتوازن فى الأوانى المتصلة ببعضها مهما اختلفت إشكالها — فان مثل

هذه النظريات لا تتسق للعقل الا بعد تأمل وبحث قليلاً أو كثيراً ومجهودات فكرية

والحكم اما عام أو خاص وسلبي أو ايجابي كما هو معلوم

(٦) النظر[١] أو القياس العقلي

النظر عمل من اعمال الذهن أيضاً به يخرج حكماً جديداً من حكم أو أحكام مقررة قبلاً

مثلاً يخرج الذهن من قاعدة ان جميع الأجسام قابلة للوزن أيضاً أن الهواء قابل للوزن أيضاً لأنهُ جسم

وللنظر ثلاث مقدمات واحدة تسمى مبدأ (مقدمة صغرى) والثانية نتيجة والثالثة وسيطة بينهما (مقدمة كبرى) وفي الغالب تكون مقدرة فمثلاً الأجسام قابلة للوزن . والهواء جسم اذاً الهواء قابل للوزن . ويمكن أن يقال وهو الغالب الأجسام قابلة للوزن فالهواء قابل للوزن

كل نظر يشمل ثلاثة أحكام لأن معنى النظر تقرير علاقة بين حكمين أحدهما مبدأ والآخر نتيجة بتوسط حكم ثالث قد يكون مقدراً غالباً كما مثل

اذاً فعناصر النظر ثلاثة معان وثلاثة أحكام : هذه الأحكام الثلاثة

---

(١) النظر هو ملاحظة العقل ما هو حاصل عنده لتحصيل غيره (شرح المواقف) وعند الباقلاني هو الفكر الذي يطلب به علم أو غلبة ظن . والفكر عند علماء الكلام ترتيب أمور معلومة أو مظنونة بحيث يؤدي الى أمر آخر

تركب من مقارنة كلا المعنين بالمعنى الثالث والنتيجة المنطقية الحاصلة من ذلك

وقاعدة النظر ان كل شيئين مساويين لشيء واحد متساويان أعنى اذا كانت ا = ب و ب = ح تكون ا = ح (راجع مبدأ الذاتية)

والنظر على ثلاثة أنواع : —

النظر التمثيلى — وهو تمثيل حالة خاصة بحالة خاصة فمن احترقت يده مرة فى النار لا يقربها مرة أخرى لعلمه بالسبب وهى أن النار تحرق بالملامسة

والنظر الاستقرائى — وهو تخريج العام من الخاص والقوانين من الحوادث الفردية والمبادئ من النتائج فمثلاً جميع الناس الذين لامسوا النار احترقت أيديهم (حوادث فردية) اذاً فالنار تحرق فى كل زمان ومكان (قانون عام)

والنظر القياسى — وهو تخريج الخاص من العام مثلاً الفضيلة محببة اذاً فالعدل محبب

وللنظر أصول وقواعد من خصائص علم المنطق سنتكلم عليها بعد

وللقياس العقلى أهمية عظمى فى اكتشاف كثير من الحقائق الجديدة والتدليل على الحقائق المعروفة وفضله على العلوم الرياضية لايذهب عن اللبيب

أصول الأفكار والمبادئ الأوليّة

الآن وقد فرغنا من دراسة القوى العقلية المختلفة فقد بقى علينا أن نتكلم على مصدر الأفكار أو المعانى ومذاهب الفلاسفة فيه بغاية الاختصار فنقول :

ليس المراد هنا بنظرية اصول الافكار مبدأ ظهورها وانما يراد بتلك النظرية معرفة الأصل السّيكولوجى أى مصدر وجودها فى الانسان وشرائط ذلك

النظرية الاولى ـ صور المعلومات ـ قال فلاسفة اليونان إن أفكارنا هى (مشخصات مادية) نشأت من تصاعد الجواهر الفردة بعد انفصالها من الاجسام ودخولها بواسطة الحواس الى المخ حيث تنطبع فيه كانطباع الخاتم فى الشمع . هذه التصاعدات تستحيل صوراً مماثلة للاجسام التى انفصلت عنها — وبطلان هذا المذهب ظاهر ولا دليل عليه فى العلم

النظرية الثانية — مذهب لوك (أى نظرية اللوح المصقول) — ومذهب كونديّاك — (أى نظرية التمثال الانسانى)

يقول (لوك) ومن قبله أرسطو ـ إن النفس توجد لأول وهلة كاللوح المصقول خالية من الافكار أيًّا كانت بمعنى ان إدراكنا يولد كأنه خاصية إنفعالية تقبل كل تأثير يأتيها من الخارج . فالحس والتأمل هما العلة الفاعلية لأفكارنا . بمعنى إن الحس آلة لمعرفة الظواهر الخارجية . والتأمل آلة الظواهر الداخلية ويقول (كونديّاك) — ان الانسان يولد كتمثال

خالياً من الافكار والعواطف ليس فيه إلاَّ أعضاء فقط. والطبيعة الخارجية تحيي فيه الملكات تدريجاً بمساعدة الحس وحده الذى يتحول الى إنتباه وذكر وتخيل وحكم ونظر ورغبة وإرادة لأن الحس بصفته انفعالاً تمثيلياً يولد الملكات العقلية بواسطة الانتباه. والانتباه حس متحكم كما ان الذكر حس محفوظ متواصل. والموازنة حس مضاعف. والحكم حس تولده الموازنة ..... الخ والحس باعتباره إنفعالاً نفسانياً يولد الملكات الاخلاقية بواسطة الرغبة التى تتولد فيه، وما الارادة الاّ رغبة متحكمة

الرد على (لوك) — الحقيقة ان الحس علة لأفكارنا. ولكنهُ علة ناقصة ومادية، والتأمل ملكة فى النفس لملاحظة حركاتها وتحليلها ودراستها متى تكونت بطريق الملاحظة والتجريد. والتجربة لا نعرف منها غير حوادث خاصة فردية. أما الأفكار أو المعانى الكلية الضرورية فلا نصل اليها من طريق التجربة وكذلك المطلق واللانهاية لا نصل اليهما بالوجدان والمشاعر

الرد على (كوندياك) ان نظرية التمثال الانسانى تؤدى الى إنكار الحركة الذاتية للنفس وقوة العقل الخاصة به ومهما قيل ان للانتباه تأثيراً على المدركات الحاصلة من التجارب فمحال عليه أن يخرج لنا الأوليات والمبادئ العقلية

الحواس توصلنا الى أن تحس بالضوء والحرارة والصوت ولكنها تقصر عن تكوين الأفكار. لأن المعرفة من أعمال حركة الذهن وهو الذى يحضر مدركات التجارب ويهيئها

ان تمثال كوندياك اذا كان مجرداً عن الملكات أصلاً فان التأثير الخارجى لا يمكنه أن يولدها فيه لا بواسطة الحس ولا بالانتباه وبالجملة فان المذهب يجرد النفس من ذاتيتها وحريتها

(٤) مذهب الفلسفة الواقعية (مذهب كونت ولتريه)

يقول أصحابه ان (المطلق) ممتنع على الذهن البشرى وان العلم ليس له موضوع الاّ الحوادث وقوانينها أعنى ترتيب الظواهر التى تقع فى دائرة تجاربنا . . وينكرون وجود الجوهر والعلل وكذلك جميع مبادىء علم ما بعد الطبيعة بحجة أنه لا دليل عليها

الرد على هذا المذهب — ان التجربة تعجز عن ادراك صفتى المطلق والضرورى فى المبادىء الأولى . أما تعريف الجوهر والعلة والماهية التى ينكرها أصحاب المذهب الواقعى فيكفى أن نقول لهم ان الطرق العلمية المحضة وهى بنت التجارب والعقل أوصلتنا الى معرفة ماهيات الأشياء وكذلك العلل والجواهر

أما ديكارت وتلاميذه فينكرون ان للحواس دخلاً فى تكوين الأفكار ويقولون ان الأفكار الحقيقية هى المعانى الفكرية ليس الاّ أعنى انها غريزية أودعها البارى سبحانه فى الأذهان عند خلقنا

الرد — على ذلك يكون لأفكارنا حقيقة ذهنيه فقط واذا كان الأمر كذلك استحال علينا معرفة الحقائق الخارجية ومنهم من زعم ان الأفكار وراثية تنتقل من جيل الى آخر بمعنى ان المبادىء الأولية تأتى من عادات يرثها جيل عن جيل — وسيأتى مذهب (كنت) بعد وفيه صور فهمنا

لحقائق الأمور وهى قوانين الفكر عنده

الرد — اذا كانت هذه العادات مجموع حوادث خاصة حادثة فلا تنتج الاّ الخاص والحادث دون الضرورى وبذلك يكون هذا المذهب باطلاً

وأصحاب المذهب الراجح يقولون انه لا التجربة بمفردها ولا العقل بمفرده مصدر الأفكار بل التجربة والعقل معاً هما مصدرها . فالتجربة تدلنا على الحقائق الحادثة والعقل يرشدنا الى الحقائق الضرورية الكلية المطلقة

فبالعقل ومساعدة التجربة تدرك العلاقات الضرورية بين الكائنات ولكى يصل العقل من المحسوس الى المعقول ومن الحادث الى الضرورى يكفى أن يكون بين الفكرتين مهما اختلفتا علاقة منطقيه وان هذه العلاقة باقية لا تتغير . ولا يتعذر على العقل الحصول على هذه العلاقة وما عليه الاّ تحليل حكم خاص واحد ؛ مثلاً لا بد فى كل حادث قتل من قاتل — فيفهم العقل من ذلك ان طرفى العلاقة (وهما القاتل والمقتول) قابلان للتغيير والتبديل ولكن العلاقة واحدة لا تتغير فهى كلية وضرورية — هذه العلاقة هى علاقة المعلول بالعلّة طبقاً للقاعدة (لكل معلول علة) هذه القاعدة يراد منها أنه ما دام فى العالم معلولات فلا بد لها من علل أى ان فكرة الحدوث مرتبطة تمام الارتباط بفكرة السبب أو العلة ولا يمكننا أن نفهم خلاف ذلك

وبالجملة فكل حادث فى أفكارنا ومبادئنا آتٍ من التجربة أعنى من الادراك الظاهرى والادراك الباطنى وعمل الذهن فيما حصلنا عليه من

طريق الحواس والوجدان — وكل ما هو ضرورى كلى مطلق فى أفكارنا آت من العقل

هذا المذهب يراه المتأمل أنه خير المذاهب التى تقدمته وينطبق على الطبيعة البشرية — فالانسان وهو كائن ناطق ذو شعور لا يجوز عليه القول بأنه يفهم بالتجربة دون العقل أو العقل دون التجربة بل بهما معاً يفهم ويعقل ويبحث

ظهور الحالات النفسية

تظهر الحالات النفسية عند الانسان بأمرين : الاشارات . واللغة . وزاد بعضهم علم الجمال

الاشارات واللغة

ان من أهم ما أنتج النشاط الاختراعى للذهن هى اللغة فهى عمل الفكر وأداته فى صورتيه : التخيل والادراك

واللغة تتركب من اشارات

والاشارات هى أمور محسوسة تدل على معنى مثلاً حركة غصون الأشجار دلالة الريح والدخان دلالة النار والضوء دلالة الكهرباء وهكذا تلك هى الاشارات بمعناها الأعم أما بمعناها الخاص فهى أفعال ظاهرية للدلالة على أحوال باطنية كالاستغاثة فانها تدل على حلول الخطر والكلام يدل على معنى فى نفس المتكلم

والاشارات نوعان : اشارات طبيعية واشارات وضعية أو اصطلاحية فالأولى مثل الضحك والدموع والشهيق كلها علامات للفرح والألم وهذه الاشارات التى مبناها اتحاد الروح والجسم واحدة عند جميع الناس مفهومة لديهم لا تحتاج لتعليم أو ارشاد

أما الثانية أى الاشارات الوضعية فهى اشارات وضعها الانسان ليتفاهم بها مع غيره مثل ألفاظ اللغة المدونة فى القواميس وهذه تختلف باختلاف الأمم والشعوب فاللغة هى مجموع الاشارات الطبيعية والوضعية التى بها يتفاهم الناس وتواضعوا عليها فيما يعرض لهم من أحوال الحس واختلاف العواطف والأفكار أعنى كل ما يتعلق بالحياة النفسية

ويدخل فى باب اللغة الصور والرسوم والأرقام والعلامات الجبرية (المعروفة فى علم الجبر) وكتابة أهل الصين وقدماء المصريين والعلامات الموسيقية لدلالتها كلها على معان خاصة

زعم ريد (Reid) ان الاشارات الطبيعية وضعتها الطبيعة وحدها . والناس أجمعون يفهمونها بالغريزة . أما الاشارات الوضعية فهى على العكس من ذلك

فرد عليه بعضهم قائلاً ان الطبيعة عند ما لصقت ببعض حالات النفس حالات ظاهرة جسمية لم تكن تقصد وضع اشارات كما يزعمون . فالطفل اذا صرخ من ألم أصابه لم يكن صراخه اعراباً عن ألمه بل صراخه من شدة الألم . كذلك الانسان فى عهده الأول كان يصرخ من آلامه ثم اتخذ بنو الانسان الصراخ علامات الألم والخطر فهى اذاً وضعية أيضاً

نتج من ذلك ان الاشارات الطبيعية والاشارات الوضعية تختلف فى درجتها لا فى طبيعتها وانما الانتقال من احداها الى الأخرى غير محسوس

أصل اللغات

للعلماء فى أصل اللغة نظريات عديدة

النظرية الأولى — ان اللغة إلهام وتوفيق من الخالق تعالى منذ خلق الانسان ولكن ورد على هـذا المذهب ان اللغة لو كانت إلهاماً لوجدت بادىء بدء تامة ولم تتدرج كما هو مفهوم ومشاهد وان الانسان هو كائن حساس ذو ادراك واستعداد تام لاختراع الكلام فبالقوة المدركة يتصور المعانى وبالمشاعر يدرك الأشياء المادية وبملكة التجريد والتعميم يفهم العلاقات بينها وباللسان يخرج الأصوات حسب أغراضه

النظرية الثانية — ان اللغة نتيجة غريزة خاصة أصلية . بمعنى ان الانسان بطبيعته ناطق كما هو بطبيعته مفكر . وهذه النظرية تقرب كثيراً من النظرية السالفة . لأننا اذا قلنا ان الخالق تعالى ألهم الانسان الكلام مباشرة أو وهبه غريزة خاصة تحرك لسانه بالكلام فالمعنى واحد لأنه فى كلا النظريتين اختراع الكلام بعيد عن القوة المدركة والارادة البشرية

ولو كان ذلك صحيحاً لما تعددت اللغات بتعدد الأمم واختلاف البقاع مع ان المعانى واحدة فى الأذهان

النظرية الثالثة — ان اللغة وضع صناعى اصطلاحى من الانسان ، ولكن اختراع الكلام واتخاذه بدل الاشارات يستتبع اتفاقاً وهذا الاتفاق

يجب ان يكون مسبباً وكيف يتم ذلك والكلام لم يوجد بعد

ومن المقرر فى علم اللغات ان العناصر المشتركة الأساسية فى جميع لغات العالم تناقض دعوى الاختراع الاختيارى

النظرية الرابعة — يقول أصحابها ان الكلام نتيجة تحضير تدريجى مطرد للغة الطبيعة . وهذه النظرية هى المعول عليها الآن بمعنى ان الانسان وضع الكلام بنفسه لا باتفاق مع معاشريه وانما بالرقى الطبيعى لملكاته . لأن الله أودع فيه كل ما يؤهله للتكلم . خلق له عضواً صوتياً ذا سعة مناسبة يخرج أصواتاً ومقاطع كثيرة للاعراب عن جميع حالاته الوجدانية . وغريزة عالية لا تهدأ الاّ بالاختلاط مع أمثاله ثم ملكة تكوين المفهومات أعنى المعانى المجردة والعامة والحكم عليها أعنى معرفة العلاقات التى بينها

(١) عمل الفكر فى اللغة

لم تكن الألفاظ فى ذاتها الاّ أصواتاً جامدة جوفاء . والفكر هو الذى يضع لها المعانى باختلاف أغراضها ويحدد الغرض من كل لفظ حصراً واطلاقاً . ويضع الألفاظ الجديدة للمعانى المستحدثة . فاللغة حياة مستعارة متجددة . وليست شيئاً آخر الاّ أشعة الحياة الفكرية

كذلك علوم اللغة فان أثر الفكر فيها لا يقل عن أثره فى المعاجم اللغوية التى هى مادتها . وقوانينها تعرب عن قوانين الفكر ذاتها التى هى منطق اللغة

(٢) عمل اللغة فى الفكر

كذلك للغة أثر فى الفكر من وجهين فانها تساعد على انتقال الفكر وتساعد على تكوينه

لأن اللغة بواسطة أداتها الخاصة وهى الكتابة تنقل للأجيال المقبلة كنوز الاختراعات والاكتشافات وسائر ثمرات العقول التى جمعتها الأجيال المتقدمة . فاللغة هى « القوة الحافظة للبشرية » أعنى كالقوة الحافظة عند الانسان . وبفضل هذا النقل يعلم المتأخرون معلومات المتقدمين فيزيدونها اتقاناً أو يزيدونها بسطة وتلك سنن الرقى الاجتماعى. فكم من علوم لأمم ضاعت بسبب تأخر ظهور الكتابة عندها . كعلوم قدماء المصريين فى عصر الفراعنة والشعر فى بلاد العرب فان أقدم الشعر عندهم لا يزيد عن ماية وخمسين عاماً قبل الهجرة

عدا ذلك للغة أثر ظاهر فى الفكر . لانها تحدد المعانى الفكرية وتزيدها وضوحاً وبساطة

الباب الثالث

فى الحياة العاملة

الارادة والاختيار

غير ما تقدم من قوى النفس توجد قوة ثالثة خاصة بالارادة والعمل الاختيارى

يدخل النشاط على الانسان من ثلاث جهات . الغريزة . والعادة . والارادة . وسنتكلم على هذه المسائل الثلاث وما يلتصق بها من الحرية النفسانية

أصل الغريزة والعادة

لم يكن النشاط على وجهٍ وظيفة خاصة للذهن بل هو الذهن نفسه لأن الذهن حركة بذاته فى الحقيقة . فاذا نظرنا الى الحياة الشهوية وجدنا وراء الميول والانفعالات ميولاً أصلية ليست الاّ صوراً مختلفة لميل أساسى: « ارادة طبيعية » وهذه الارادة هى شىء من النشاط وان نظرنا الى الحياة العقلية وجدنا ان المعرفة لا تتم الاّ بسلسلة من الأعمال المختلفة أى عمل مركب . هو أيضاً صورة من صور النشاط

وانه ليمكن القول بأن النشاط هو لب الجوهر فى كل موجود ولذلك قال (لايبنز) ما لا يعمل لا يوجد . وقال (شوبنهور) ان كل كائن

« ارادة » بذاته أو مجهود أعنى نشاطاً وأما النشاط بمعناه الخاص فهو وظيفة خاصة للوجدان . أى قوة بها تصدر الأفعال الحيوية بحال تسمح لها بمكان فى الوجود يتلائم مع بقائها وحفظ نوعها وهذا النشاط يكون على صور ثلاث أصلية . أولاً ذاتية محضة بلا تصور فالكائن يجهل الغرض الذى يرمى اليه فهو يسير كأنه مدفوع بقدَر لا محيص عنه وهو الغريزة . ثم بعد ذلك يأخذ النشاط فى إدراك نفسه ويسير بتصور نحو غاياته . وباختيار صادر من ذاته على ما يظهر يُتم ما يريده وهذا ما يسمى بالارادة . ولكن لا يلبث الكائن الحىّ ان يعود الى الطبيعة الغريزية رويداً رويداً بدخوله تحت تأثير العادة

أنواع الحركات الأصلية — تظهر الحركات مع الحياة نفسها وهى مظهرها الحقيق . وهذه الحركات وان كانت ذات أصل واحد إلاّ أنها لا تتشابه . فيأتى بعضها من تنبيه باطنى أو فيض القوى الحيوية كأنها تتعجل الظهور الى عالم الفعل وتكون عادة غير منظمة ولغير غاية ويسمونها « بالحركات الآلية » مثل حركات الطفل التى يأتيها بمجرد الولادة من تحريك اليدين والرجلين مع الاستمرار وبدون انقطاع الاّ فى حالة النوم . ويفسرها عامة الناس بأن (روحه اكبر من جسمه) ويأتى بعضها من تأثير خارجى دليلاً على استعداد التركيب الجسمانى لبعض تنبيهات تخدمه فى حماية نفسه من الطوارئ . ويسمى هذه « بالحركات القسرية » كالحركات التى يفعلها الطفل اذا وقع شعاع ضوئى شديد على عينه فانه يلفت وجهه بسرعة أو اذا مست يده ماءً ساخناً فانه يقبضها بسرعة أيضاً وهكذا

وهناك حركات أخرى ذات علة باطنة كالأولى ولكنها من جهة أخرى مثل الثانية ترمي لغاية محدودة وهى بقاء الكائن وحفظ نوعه . ترى من ظاهرها كأنها اعمال ادراك وتعقل وقد تدهش العقول بعملها فى اختيار ما يلائم واتقاء ما يضرها فى حياتها وحفظ نوعها كأن بها قوة تخيل . وبناء عليه قالوا أن لها ذلك من اصل خاص وهو الغريزة

وليست هذه الحركات الثلاث منفصلة عن بعضها انفصالاً مطلقا بل قد توجد مع بعضها فى وقت واحد خصوصا فان الحركة القسرية والحركة الغريزية قد يصعب تمييزهما عن بعضهما واختلف فى اصل الغريزة ولكن الرأى الذى عليه جمهور الفلاسفة أن الغريزة لاصقة بالحياة أى بالميل الموجود وفى الواقع أن الحياة لا تتحقق الا بعرفان الكائن لما يضره . وما ينفعه بالطبع . فالأدراك الأولى الضرورى لهذا الاتقاء هو الغريزة

(١) الغرائز

الغريزة هى اندفاع طبيعى أعمى لأتيان فعل من الافعال بلاغرض ولا سبب والافعال الغريزية هى التى تأتى من نفسها بلا تأمل او تعقل وقال بعضهم أن الغريزة لا تأتى من العادة ولا من الوراثة بل هي خلقية فطرية

ويشترك الانسان مع الحيوان فى الغرائز بل قد تكون اوسع عند الحيوان منها عند الانسان ـ فليس لدى الحيوان غير الغريزة يحفظ بها كيانه ونوعه واما الانسان فلديه العقل وهو أعلى من الغرائز طبعاً

والغريزة عند الطفل وعلى الاخص عند الحيوان مجردة عن التدبر والتفكير ولكنها معصومة عن الخطأ ولا يلحق بها تغيير أو تبديل بل تراها على شكل واحد ونوع مخصوص

أما كونها مجردة عن التفكير فلأن الغريزة لا تعرف غرضها الذى ترمى اليه ولا الطريق المؤدية الى ذلك الغرض . فالطفل أو الحيوان الصغير حينما يرضع ثدى أمه لا يعرف فكرة الجوع أو العطش ولا منفعة اللبن فى غذاء جسمه . انما يشعر بحاجته الى الرضاعة فيرد ألم الجوع بعمل غريزى لا يفكر فيه

العصمة عن الخطأ — الغريزة تصل الى الغرض مباشرة بلا تلمس فلا تخطىء البتة تحمل الطفل أو الحيوان على عمل ما يوافق طبيعته أو خاصيته من أول وهلة — فالطفل من أول مرة يضع فمه على ثدى امه يضع شفتيه ولسانه بأحكم طريقة لتحلّب اللبن من الثدى . والعنكبوت يغزل غزلا عجيباً بغير تدريب أو تعليم — والبط يحفظ نفسهِ على سطح الماء ويعوم بلا تعليم أو تمرين من أول مرة وهى لم تر الماء قبل

عدم التغيير — الغريزة عند الحيوان تامة الخلقة من البداية ولا تتدرج — فالعنكبوت يغزل غزلا تاما والنحل يصنع العسل والنمل يبنى قراه من يوم الولادة وهى دائما على شكل واحد عند حيوانات النوع الواحد بمعنى ان غريزة البناء مثلا لدى النمل والعنكبوت والجند بادستر واحدة فى جميع افرادها . ومن نوع واحد لان كل حيوان له خاصيته لعمل نوع من العمل لا يتعداه مثلا النحل لا يضع غير العسل والعنكبوت النسيج وليس

لاحدهما ان يصنع صنع الآخر فالحيوان اذن (عامل اختصاصى)

اما اصحاب مذهب التحول [١] فيقولون ان هذه الصفات ليست للغريزة باصل فترتها وهى على الاقل لم تكن لها بادىء بدء واذا شوهد اليوم ظهورها فى الحيوان دفعة واحدة فذلك لأنها أنما جاءت اليه من طريق الكسب والتجربة والوراثة . بدليل ان الحصان لا يمشى الغار الا بالتدريب وكلب الصيد لا يجرى وراء الطريدة الا بالتدريب . اى أن التدريب والتربية تنوع من الطبيعة الأولى للحيوان وتغرس فيه طبائع لم تكن فيه من قبل كذلك تؤثر فيه نواميس الطبيعة تأثيراً متشابهاً . فان التزاحم فى الحياة وتأثير الوسط يجعلان الحيوان يفعل مايقيه غائلة الجوع أو الخطر أو يهيىء لنفسه ما يكون صالحاً لحفظ حياته أو بقاء نوعه، ومن هذا التطور نشأت الغريزة فيه

فالغريزة هى الحلقة الاخيرة من سلسلة اختبارات متنوعة قام فيها الانتخاب الطبيعى بدور ذى شأن

يقولون ان الغريزة لم تكن عمياء بالكلية . لأنها لما كانت نتيجة اختبارات عديدة وجب أن تكون ذات نوع من الأدراك . لأن الحيوان يعمل دائماً للوصول الى غايته بحسب اختلاف الوسط والطقس مثلاً فى البلاد التى يكثر فيها الفراش آكل النمل . ترى هذا المخلوق الصغير يضيق من فوهات خلاياه ما أمكن . والخطاف يبنى عشه من القش فى البلاد التى لا يجد فيها نوع الطين الموافق . ويقول كذلك ان الغريزة لا تعمل على

---

(١) *transformistes*

شكل واحد كما يدعى أصحاب المذهب الأول . لأن الطير المعروف باسم (بالتيمور) يبنى وكره فى أمريكا الشمالية من المواد ذات الوبر الحريرى أتقاء البرد مع انه فى أمريكا الجنوبية يبنيه من المواد التى تدفع حرارة الشمس

أنواع الغرائز — الغرائز عند الانسان كثيرة منها ماهو خاص بحفظ حياته المادية ومنها ما هو خاص بحياته العقلية والأدبية فالأولى هى الأفعال الغريزية التى ترمى الى حفظ الجسم مثل الحركات التى تبدو من الانسان اذا أختلت موازنة جسمه وامتداد اليدين الى الأمام فى حالة سقوط الجسم على الأرض مثلاً وأغماض العينين عند وقع ضربات أو هبوب رياح

والثانية هى الأفعال الغريزية التى يأتيها الأنسان لأستكمال قواه العقلية أو الأدبية مثل الرغبة فى السعادة والميل الى الدرس والمطالعة الذى لا يعلم سرّه وحب الجمال والخير والحقيقة

(٢) العادات

العادة هى الطبع المكتسب بالمعاودة والتكرار لفعل ما أو الأستمرار على حالة واحدة

ولاحظ بعضهم أن العادة لا تتم بتكرار الفعل الواحد مرّات متعددة أنما تبدأ العادة من أول مرة فأذا لم يبق لها أثر بعد المرة الأولى فلا تتكون العادة ولو كرر الفعل مائة مرة لأن أصل العادة فى التغيير الأول فكلما كان مألوفا كانت العادة راسخة . ولذلك قالوا أن العادة بنت التكرار ولكنها ليست كذلك على العموم . لأن الأستمرار قد يكون أفعل فى تكوين

العادة من التكرار وأن تغييراً وحيداً يتم بقوة وعزيمة أو يقع مصحوباً باللذة حادة قد يكفى فى تكوين عادة تبقى بقاء الحياة . وعليه يكون التكرار نتيجة العادة لا سببها كما يزعم بعضهم وما العادة ألا الميل للتكرار على التحقيق . وبالجملة أن جرثومة العادة فى اللحظة الأولى للفعل الأول

وتنقسم العادات باعتبار أسبابها الى ايجابية وسلبية فالأولى ماتولدت من تكرار الفعل الواحد بعد جهد والتفات وتأمل مثل النبوغ فى التوقيع على آلات الموسيقى فانه نتيجة عادة إيجابية

والثانية ما تولدت من أحساس متكرر أو دائم فلا يلتفت اليه ويترك وشأنه كمجاورة الشلالات والآلات الميكانيكية فأن الأنسان ينتهى الى تعودها فلا يعود يشعر بها وتنقسم باعتبار الملكات التى تتعلق بها الى عادات عضوية وعادات عقلية وأدبية

فالأولى كأعتياد اليد عملاً خاصاً والمعدة نظاماً خاصاً والجسم أقليماً حاراً أو بارداً أو معتدلاً والثانية خاصة بالحياة العقلية — كأعتياد التكلم والحساب والملاحظة والقياس العقلى والثالثة هى العادات الناشئة من الضغط الذى تطبع به الأرادة والأخلاق والسلوك إنما يجب التفريق بين العادات الأيجابية والتكرار العقيم الذى هو عادة رديئة ترجع بالكائن الحى الى الجمود أى موت كل حركة وجدانية جديرة بالنفس البشرية ورقيها ونجاحها

وللعادة تأثير على الحساسية والعقل والأرادة

(١) فالعادة تضعف غالباً جانب الأنفعال من الحس فهى التى تمحو الآلام القاسية بمرور الأيام وتخفف الأشجان والهموم المتلفة وتقلل من

أهمية المناظر الجميلة والملاهى الطريفة فالأنسان يعتاد الألم كما يعتاد اللذة فتصبح ولا تأثير لها فيه

(٢) والعادة تقوى الملكات الفعّالة لأن تأثيرها فى حركة النفس الجسمانية والفعلية والأرادية يزيدها نماء ، فالألعاب الرياضية والأعمال اليدوية تشد القوى الطبيعية واعتياد التأمل يقوى الذكاء واعتياد التمسك بالفضيلة يغرس العزم فى الأرادة فينبت الرجل الخير

وللعادة مزايا ومساوى فاذا حسن تدبير امرها كانت عوناً على ترقى الحياة فى الصناعة والعلم والأخلاق واذا ساء تدبيرها ضل صاحبها فى الحياة الدنيا . وسعادة الأنسان وشقاؤه مرتبطة تمام الأرتباط بالعادات الأدبية التى غرست فى نفسه فى أيامه الأول — والعادة السيئة لا تخرج من البدن حتى الممات لأنها كما قال ارسطو العادة طبيعة ثانية

ومداواة العادات السيئة إلا يكون لا بتركها والعمل بأضدادها

(٣) الارادة

الارادة هى ملكة العمل بتأمل وحرية (اختيار)

والنشاط يظهر بدرجات مختلفة فى انفعالات الحساسية ومجهودات العقل ولكنه فى الارادة أتمّ ظهوراً وأعلى شأناً

وكل عمل من أعمال الإرادة فيه خمسة عناصر يتميز بعضها عن بعض تميزاً تاماً (١) الاختيار — لأن الانسان اذا كان مسيراً أى لا يملك لنفسه ارادة واختياراً كان عمله مقضياً لا مفرّ منه وأما اذا كان له السلطان التام على قواه وملكاته بلا تأثير خارجى أو داخلىّ كان سيد عمله (٢) الادراك — أى معرفة حقيقة العمل الذى يريده والغرض منه

والطريق التى يسير عليها لتحقيقه (٣) التروى — أى البحث فى الأسباب الباعثة على هذا العمل سلباً وايجاباً من حيث الواجب والشرف والميل والمصلحة والهوى (٤) النية — أى النهوض للعمل أو القعود عنه (٥) التنفيذ — أى العمل الخارجى الذى يتلو النية عادة وليس التنفيذ من عناصر الارادة الأصلية لأنه يتعلق بظروف خارجية عن ارادتنا — وانما الارادة الحقيقية تتم بالنية وهى متعلقة بنا وبها تقع مسئولية أعمالنا علينا

ونلاحظ أحياناً ان عناصر الارادة المختلفة هذه تتم بسرعة تامة حتى لا ليخال للمرء أنها غير منفصلة — كما نشاهد ذلك فى انقضاض الام بمجرد رؤية ولدها فى خطر

فاعتياد المرء مجاهدة شهواته وصفاء الذهن وقوة الخلق وحنو القلب لا تركن به فى الظروف الحرجة الى التروى المعيب أو التردد الفاضح

مما تقدم يعلم ان للارادة صفات أربع (١) تأمل : لمعرفة حقيقة العمل المراد اثباته والغرض منه (٢) حرية : ليختار ما ينشأ من مقاصده على هواه (٣) نفاذ : لأن الارادة فى مقدورها أن تفعل كثيراً سلباً أو ايجاباً (٤) مسئولية : أى ان الارادة مسئولة عن عملها بقدر علمها بالعمل وحريتها فيه

وتختلف الارادة عن القوة المدركة والحساسية

أما اختلافها عن القوة المدركة فلأن موضوعها الخير، وأما القوة المدركة فموضوعها الحقيقة أى أن الأولى موجهة للخير والثانية موجهة لمعرفة الحقيقة والقوة المدركة تثبت صحة النظر فى الأمور، وأما الارادة

فتقرر ما يجب أن يفعل فيها . والقوة المدركة مصباح الارادة يضىء لها المحجة لأنها عمياء لا تبصر طريقها فى حد ذاتها فتبين لها الأسباب لتسير فى طريقها المأمون . والرشد وهو أرقى درجات العقل يقود الارادة فى اختيارها ويعرفها القيم الأدبية لأعمالها

وأما اختلافها عن الحساسية. فهو أن أندفاع الحساسية مثل الغريزة والرغبة والحب يذهب بأثر التروى والمشورة ، فالغريزة من القوى التى لا أدراك لها ، أما الأرادة فتعرف نفسها لأن لها تأملاً واختياراً ، والرغبة تولد فينا وعلى الرغم منا وتسير بلا تروٍ ولا اختيار وأما الأرادة فعلى النقيض من ذلك حرة فى أفعالها تماماً ومهمتها فى الغالب مجاهدة الرغبة والوقوف حائلا بينها وبين مطالبها. نعم للرغبة تأثير عظيم فى الأرادة ولكن لا ينتج ذلك الخلط بين الرغبة والأرادة فالأنسان لا يتحمل مسئولية رغبته الا إذا أمست افعالاً أختيارية بفعل الارادة. والحب ميل وقتى وهو مثل الرغبة يُولد فينا بعيداً عن أرادتنا والأرادة عزم يتم بعد تأمل . وقد تكره على أرادة مالا تحب أو على حب ما لا تريد . ومن هنا تعرف أن الأرادة تختلف عن القوة المدركة والحساسية

والأرادة ملكة كبرى لها سلطان بين على الملكات الأخرى للنفس وعلى الجسم أيضا

تأثيرها فى القوة المدركة — الأرادة وأن لم تستطع أن تقود القوة المدركة تماما ففى مقدروها (كما قلنا) أن تفعل كثيراً لتسهيل المباحث

العقلية كما فى أحوال الألتفات والتجريد والذاكرة وتداعى المعانى وغير ذلك

تأثيرها فى الحساسية — الإرادة وأن لم تتوصل إلى محو الحس والعواطف والتخيلات والميول ولكن فى ملكتها أن توقف المظاهرات أو تخفف من غلوائها أو تمحوها بأدخاض أسبابها وتفنيد مزاعمها (كما سيجىء فى جزء الأدب والأخلاق)

تأثيرها فى الجسم — للأرادة تأثير فى الجسم بالرياضة ومراعاة قانون الصحة والقناعة

(١) نظريات الفلاسفة فى الإرادة

النظرية الأولى — وتسمى النظرية العقلية — يقولون إن فى كل فعل ارادى عناصر أدراكية وعناصر شهوية لأن إرادة فعل شىء تستتبع ادراك الغاية منه. حيث الفرق بين الإرادة والغريزة أن فى الأولى يعمل الانسان أوهو يعلم بما يفعل والسبب الحاصل له والغرض المطلوب منه ومن جهة أخرى ان الإرادة فيها معنى طلب الوصول الى غايةٍ أو غرضٍ ما. لأن من لا يطلب شيئاً لا يفعل شيئاً. كذلك يجب البحث فى هل الارادة أجنبية عن القوة المدركة والحساسية أم لا؟ يقول بعضهم أن الحكم على الشىء كاف لفعله. مدعين أن الفعل نتيجة مباشرة لمعنى حاز ميزة الأفضلية على غيره من المعانى والأفكار. أو بالحرى هو مظهر وجودها أو الوجه العملى لها. قال سقراط: أن أدراك معنى الخير كاف لفعله أعنى أن السلوك ترجمان

المعرفة عنده وقال (سبينوزا) أن المعانى ليست بأشياء لا حياة لها كصور صامتة على لوحة . بل هى ميول لا يلبث أصرها أن يتحقق متى فاز على غيره

وقال بعضهم عكس ذلك : أن المعنى عنصر مجرد محض ليس له فاعلية ولا تأثير ما . ولا قبلَ له على اصدار الفعل . ولذلك تعين أن يكون له قوة خاصة تصدر عنها الحركة وهى ما سماه مين دى بران (*Maine de Biran*) « بالملكة الفعّالة » غير أن فى هذين الزعمين غلواً ظاهراً . أولاً أن بين المعنى والفعل لا يوجد ملكة خاصة ومن العبث محاولة ادعاء ذلك. نعم لا يفهم كيف أن التصور يوجد الفعل ولكنا نقول بذلك أذ تدل التجربة عليه . ثانياً ليس من الصواب القول بأن مكان الارادة بين أدراك المعنى وتحقيقه . اذاً هل لنا أن نقول بان المعنى هو العلة الوحيدة للفعل وشرط كاف لتحقيقه ؟ من قال ذلك فقد نسى أن دخول الأرادة لازم عند انتخاب معنى من بين جملة معان . هذا العمل الذى لا يمكن تحليل عناصره به يتخير الأنسان طريقاً دون طريق وعملاً دون عمل : فالعزم شىء جديد بلا شك . لأن ادراك الممكنات المختلفه وتفضيل أحدها على الآخر شىء والعزم أى اخراجه الى حيز الفعل شىء آخر . ليست النية من قبيل القوة المدركة بل تأتى من الارادة نفسها فضلا عما أن المعنى ولو تقرر فى نفس الانسان بصادق عقبات دائما تعيق ظهوره وحينئذ يظهر وجه الحاجة الى توسط الأرادة وتعضيدها له ولا تفارقه حتى يتم الغرض منه . وبالجملة فأن الارادة بها عناصر أدراكية حقيقية تزيد فى قوتها

النظرية الثانيـة — وتسمى نظرية الحسيين يُرجع أصحاب هذا

المذهب الارادة إلى الشوق والرغبة . كل فعل أرادىّ يظهر فى جملة من العناصر الشهوية . أى أن مشاورة النفس تقع بين عدة رغبات فلمَ لا يقال أن كل رغبة هى فى الحقيقة ميل إلى الفعل ؟ وأن المشاورة هى جهاد بين هذه الرغبات حتى تفوز أحداها على سائرها ؛ فمتى تم العزم يتحقق الفعل . وبذلك لا تكون الارادة ألا فوزاً لرغبة على باقى الرغبات

النظرية الثالثة — النظرية الفسلوجية للارادة — قلنا فيما تقدم إن الأفعال الحيوية بدأت بالأفعال القسرية ثم منها إلى الأفعال الغريزية ثم إلى الأفعال الارادية كأن هذه الأفعال على ما يظهر ترتقى شيئاً فشيئاً متميزة عن بعضها لا بتركيبها فقط بل أيضاً بالعناصر الجديدة الداخلة عليها . لان الفعل القسرى هو فقدان الشعور المحض . والغريزة فجر الأدراك . والأرادة وصول النشاط إلى درجات المعرفة الذاتية . والتفتح لقبول الحرية . ولكن العلم يميل إلى رد الاعلى إلى ما هو أحط منه . فقد رأينا كيف حاول رد الفعل الغريزى إلى الفعل القسرى فما ادرانا أن الارادة ليست ألا صورة راقية من الغريزة أعنى فعلاً قسريا محضاً فى النهاية ؟ هذا الفعل القسرى عبارة عن رد فعل بسيط بلا واسطة لتنبيه واحد . ولكن أذا فرضنا وجود عدة تنبيهات فى آن واحد فأن رد الفعل يبطىء طبعاً ويكون غير محدود ولا متعين . وفعلاً تدخل هذه التنبيهات فى نزاع وجهاد مع بعضها بعضاً فتتجاذب الانسان بينها فى جهات مختلفة فيستمر التذبذب ولا يتم رد الفعل حتى تفوز أحدى هذه التنبيهات أو التشنجات على غيرها وهذه هى طريقة تكوين الارادة فتنازع تلك

التشنجات المتضادة والتردد الحاصل بسببها فى الوجدان وهو ما يسمى « بمشاورة النفس » أو « حديث النفس » كما أن فوز التنبيه الأقوى وانتهاء التوازن بين هذه التنبيهات كلها هو المعبر عنه « بالنيَّة »

وتنازع التنبيهات وفوز احدها على الآخر لا يختلف عندهم عن مجموع التنبيهات المكونة لما يسمى «بالأَنية» ولذلك قالوا أن لكل أنسان عزماً فى الأمور يخالف عزم الآخر . ولكل تصرفات ذات لون شخصى يغاير ما لتصرفات الغير . من ذلك يعلم معنى الارادة عندهم أى أنها ملكة حقيقية أو قوة فعَّالة أى علة . على انها فى الحقيقة لم تكن إلا « نتيجة » أو هى اثر باطنى لنزاع حصل بالمخ

العزم — تختلف الارادة عند الناس أختلافا جوهريا . ومع أن الأختيار حاصل لدى كل انسان فأنك ترى هذا لا إرادة له يسير طوع إرادة من حوله وذاك ضعيفها تتجاذبه آراء مشيريه والرأى عنده لآخر من يتكلم وآخر طائشاً غير مقدر للعواقب لأنه عديم الجلد والنظر الصائب وآخر متردداً حيران يخيفه العمل . إذ ينقصه الثبات والشجاعة ، فقوة الارادة ليست واحدة لدى الافراد

مثل هؤلاء ليسوا « بأنَّية » ولكنهم أنيات متعددة

والعزم هو مجموع المواهب المكتسبة وقد صُبَّت على المواهب الفطرية. فتجعل للأنسان من الوجهة الخلقية طابعا خاصاً . ولكن العزم لا يوجد لدى كل أنسان قال (كَنْت) : الرجل ذو العزم يملك لنفسه مبادىء عملية مقررة واضحة . تكون قاعدة لسلوكه ولا يتحول عنها

فشرائط العزم (اعتقاد ثابت وارادة قوية) للعمل به فمن ملك إرادة قوية ونقصته المبادىء كانت اعماله متناقضة لاتناسب بينها وخلت تصرفاته من النظر المنطق ووحدة الأتجاه ومن كان له أعتقاد خاص ومبادىء ثابتة ولكنه يُخفيها ولا يجسر على أبدائها فليس برجل عزم كذلك

أن حياة الرجل ذى العزم كـكل عمل من الاعمال الفنية كل جزء من اجزائه يرمى لغاية ويربطها كلها معنى واحد

لا ينفع شرط من هذين الشرطين بغير الآخر. وحقاً أن العمل بالنسبة للرأى أو العقيدة مظهرها وحياتها (١)

الحرية النفسية او الاختيار

الحرية على أنواع: الحرية الطبيعية، والحرية المدنية، والحرية السياسية والحرية الداخلية أو النفسية، فالحرية الطبيعية للأنسان هى حق اخراج مقاصد الأرادة إلى الوجود الحسى، وهذه القوة محدودة غير مطلقة، يحدها طبعاً الضعف الأنسانى والقوانين، فالمريض والعاجز والمسجون غير متمتعين بحريتهم الطبيعية. أما الصحيح فيأكل ويشرب ويمشى ويعمل ويستريح ويتعلم ويعلم ما شاء ضمن دائرة القوانين

والحرية المدنية او الأجتماعية هى حق تمتع الأنسان ببعض حقوق ضرورية للطبيعة البشرية مثل حق انتخاب الصناعة التى يريد أن يشتغل بها الأنسان وحق التعليم وحق التملك وحق التنازل عما يملك بالبيع والمعاوضة والهبة

(١) العزم توطين النفس على احد الامرين . ويتقوى العزم شيئا فشيئا حتى يصل الى درجة الجزم (شرح المواقف)

والوصية وغير ذلك وهذه القوة محدودة ومبينة فى القوانين والنظامات الموضوعة للمصلحة العامة — فليس المحجور عليه والقاصر أن يتمتعا بها فهما ممنوعان من الحرية المدنية

والحرية السياسية هى حق الاشتراك مع الحكومة فى الأعمال العمومية مثل حق الأنتخاب ، وحق العضوية فى المجالس العمومية ، وحق الأشتراك فى المداولات العامة ، وحق المراقبة على تصرفات السلطة العمومية وحق أبداء الرغبات ونحوها ، وهذه الحرية محدودة ومبينة فى القوانين الدستورية وترى فيها الأجنبى والقاصر محرومين من هذه الحقوق السياسية

والحرية الداخلية أو النفسية هى حق للأنسان فى تحقيق مشيئته وهى موضوع كتابنا هذا وتسمى هذه الحرية أيضاً بالحرية الادبية أو الأخلاقية أو الاختيار كلما كانت مباحثها خاصة بالنظام الأخلاقى

وكمال الحرية الأخلاقية ينحصر فى الأختيار بين أفعال الخير المتعددة فالحرّ هو الذى يفعل الواجب ولا يقصد إلا ماهو خليق بصفة النطق التى ميزته عن غيره من الحيوان . وكلما كان الأنسان فاضلاً كان حراً ؛ لان فعل الشر لا يتفق مع روح الحرية بل فيه اساءة الى الحرية نفسها . والحرية الحقيقية ما كانت ضمن دائرة الشرف والخير وأن علم الأخلاق يعلمنا كيف نعيش عيشة الخيّرين بحسن استعمال قوة الأختيار فى أنفسنا

والأنسان مالك افعاله متى كان ذا رشد وعقل بشهادة الوجدان والأحوال البشرية وما يترتب على سلب الأختيار من التناقض

شهادة الوجدان — من تقريرات الوجدان نوقن أننا أحرار فى

جميع أفعالنا — سواء قبل الفعل أو بعده أو فى اثنائه ؛ وذلك لما لنا من حرية النظر فى أسباب كل فعل نريد أن نأتيه ووزن المصلحة التى تعود علينا من فعله والأمتناع عنه بميزان التعقل والتروى ولما لنا من الحرية التامة فى اتمام الفعل والأنصراف عنه ؛ وكذلك اذا ما تم شعورنا بأرتياح الضمير أو تبكيته إن أحسنّا أو أسأنا كل ذلك مقتضاه أن للأنسان حرية تامة قال الشهير بوسويه كل منا يصغى لصوت قلبه ويستشير نفسه ويشعر أنه حرّ الأرادة بقدر ما يشعر أنه أنسان عاقل .اهـ

شهادة الأحوال البشرية — كل ما عليه الأمم على أختلاف بقاعها وصبغتها يُحَدِّث بأعتقادها الحرية النفسية ، لأن وضع القوانين والشرائع وأنشاء المحاكم وتقرير الثواب والعقاب ليس له معنى آخر غير الأعتقاد بحرية الأنسان وأختياره فى جميع أفعاله

كل قول بسلب الأختيار كان ولا يزال قولاً نظريا لم يقم عليه دليل فى أية شريعة من الشرائع

وإلا إذا قلنا أن الأنسان مجبور فى أفعاله مسير فى طريقه لما خلق الله العقلَ للأنسان ولا هداه النجدين فأما شاكراً وأما كفوراً ولا كان هناك موجب لتنزيل الشرائع ولا موجب لتقرير الأنظمة العمرانية ولا معنى للخير والشر ولا للثواب والعقاب

تأثير ملكات النفس بعضها فى بعض

عرفنا مما سبق أن ملكات النفس وأن كانت مختلفه إلا أنها غير منفصلة عن بعضها وسنبين الآن كيف يكون تأثير بعضها فى بعض وامتزاجها أيضاً

اشتراك الوجدان — انا لا ندرك ظواهر الحساسية والقوة المدركة والأرادة حتى نعرفها ولا يمكننا معرفتها الا بفعل الوجدان كما تقدم اذاً فالوجدان مشترك مع جميع الملكات المختلفة فهو ركن من اركانها

تأثير الحساسية — أولاً تأثيرها فى القوة المدركة : لا شك أن ما يعرض لنا من مسرات وآلام يشغل من أفكارنا جانباً عظيما لان أسهل ما يعى الأنسان ويحفظه ما يختص بشأنه. أما انفعالات الحس الشديدة المتوالية الدائمة فأنها تأثر فى القوة المدركة فتضعفها وتطفىء منها القريحة وقد تميت الذهن احياناً فيصبح صاحبه أبله ضعيف القوى العقلية

ثانياً — تأثيرها فى الارادة — تدفع انفعالات الحس الارادة فتخرجها من مكمنها وهو سر أتيان عظائم الأمور متى وافقت ميول النفس وهواها عند أهل الارادة . فالرجل عديم الأحساس لا يقوى على النهوض بأعباء الشجاعة والفضيلة وأما الرجل ذو الشعور الذى يحس ويألم بسهولة فقد يذهب بعيداً بأمر الخير أو الشر على السواء

تأثير القوة المدركة — أولاً تأثيرها فى الحساسية : لما كان مصدر الحس هم الأدراك والفكر كان لثقف العقل دخل كبير فى تخفيف حالات

الحس بتفريج الهموم والاستبشار وحسن التفاؤل وفسحة الأمل

ثانيا — تأثيرها فى الارادة — : للقوة المدركة غلبة على الارادة لأنها لا تبرز إلا بأسباب يهيأها العقل ويمحصها قبلاً فلا يقع الأختيار والارادة على شى حتى تعرفه حق المعرفة

تأثير الارادة — أولاً تأثيرها فى الحساسية — : للارادة غلبة أيضاً على الحس فتحوله عن مجراه وتضبط من حدته فيمكنها أن تخفف من حالات القلب كالجزع والضجر والغضب والكراهة والمحبة والأبتعاد عن المناظر التى تؤثر فى القلب وتزيد فى الأنفعالات النفسية وقد تحكم فى العواطف والشهوات

ومما شوهد ودلت عليه التجربة أن الأرادة متى أمكنها أن تقف حائلاً بيننا وبين ما نحب وتكرهنا على فعل ما لانحب افضى ذلك الى تقويم العواطف وتهذيبها

ثانياً تأثيرها فى القوة المدركة — تمتزج الارادة بالقوة المدركة فى حالة الانتباه كما قدمنا وفيها يُسَيِّر الأنتباهُ الفكرَ ويقوده — ولذلك كان الانسان مسؤولاً عن آرائه بقدر ما وجهه اليها الانتباه

أن ما يرد على فكر الأنسان عن طريق الحس الظاهر وتداعى المعانى (كما قدمنا) انما يرد على الفكر مشتتاً مختلطاً إذا لم تتعهده الارادة؛ ولذلك كان من وظيفة الارادة تمحيص هذه الأفكار للعمل على ما فيه الفائدة والخير فهى دائماً فى نزاع وجدال مستمر ما دامت الحياة البشرية

(قال مالبرنش) أن جميع ملكاتنا مرتبطة بعضها ببعض . وتأثيرها

فى بعضها ظاهر للعيان حتى ان ما يزيد فى قوة ملكة واحدة يزيد قوى الملكات الأخرى وما يضعفها يضعف سائرها

العلاقات بين الجسم والنفس

فيما تقدم درسنا الوجدان من حيث هو حقيقة قائمة بذاتها مستقلة عن غيرها . وفى الواقع أن الوجدان مرتبط تمام الأرتباط بتركيب الجسم الانسانى . فالحياة الروحية والحياة الفسلوجية يؤثر كل منهما فى الآخر بمعنى أن الجسم تتوقف حياته على النفس وكذلك النفس تتوقف حياتها على الجسم . هذا ما يسمونه بمسألة علاقات الجسم بالنفس وهى مما يدخل تحت الأبحاث التجريبية البحتة لذلك لا يبحث فيها عما إذا كان تحت الحوادث العارضية لكل منهما جوهران أو جوهر واحد وانه جوهر مادى كما يقول الماديون أو جوهر روحانى كما يقول الروحانيون . أو أن المادة والروح ليسا من جوهرين متغايرين لكنهما وجهان لجوهر واحد لا يُدرك فى ذاته كما يقول اصحاب مذهب وحدة الوجود . لأن كل ذلك من خصائص علم ما بعد الطبيعة كما ستراه . وسنقتصر هنا على بيان أحوال تعلق النفس بالجسم وأحوال تعلق الجسم بالنفس لنثبت بأجلى عبارة أنه اذا كان أثر تركيب الجسم فى الوجدان لا شك فيه فان للوجدان أثراً واضحاً فى الجسم لا تقل عن أثره فيه

أحوال تعلق النفس بالجسم

الوجدان وتركيب الجسم — أن تلازم الحياة الروحية والحياة الفسلوجية يظهر بادىء بدء من هذا الناموس العام القائل بأن الوجدان لا يكون له وجود الا حيث تتحقق بعض شرائط فسلوجية . وفى الواقع نرى من الوجدان صورة معقدة للحياة الجسمانية . فقد دلت التجارب على أنه متلبس بالتركيب الجسمانى على كل حال . ونحن لسنا عقولا محضاً بل الأنسان « كل طبيعى » كما قال بوسويه نصفه جسمانى ونصفه روحانى وكذلك يلاحظ بالمقارنة بين أفراد الحيوان من الأنسان الى احط درجات الحيوانية ذات المجموع العصبى أن للوجدان وجوداً حقيقياً متفاوتة درجاته يأخذ فى الأضمحلال حتى يكاد يكون عدماً وبالجملة يقول العلم التجريبى أن لا حرج علينا أن نقول بأن الحياة الروحية لا توجد الا حيث يوجد المجموع العصبى

القوة المدركة والمخ — قلنا فيما سبق أن كل أحساس ينشأ من تنويع فى المخ بحسب طبيعة العصب الواقع فيه التأثير الخارجى وقد توصل العلم الى تحديد المراكز العصبية الخاصة بكل نوع من أنواع الأحساس . والى رد قوتى الذاكرة وتداعى المعانى الى أمور فسلوجية . والى حصر قوى الذهن المختلفة فى اجزاء معينة من المخ . وشوهدت علاقات غريبة فى ذاتها بين نمو المخ وقوة الفكر . وأن كل اختلال فى كيان المخ يؤدى حتما الى اختلال العقل . وقد دلت التجارب الطبية ايضاً على أن المادة السنجابية

الموجودة على سطح المخ مصدر الأفكار، وأنها عند الحيوان أقل مما فى الأنسان على قدر ما بينهما من التفاوت

الحساسية والارادة وعلاقتهما بتركيب الجسم — هاتان القوتان كالقوة المدركة لهما أرتباط أيضاً بحالة المجموع العصبى وسنبين فيما يأتى تأثير المزاج فى الأنفعالات والميول ؛ فقوة تركيب الجسم وسلامته من أسباب انشراح الصدر وارتياح النفس ومن الأسباب التى تهىء النفس الى شهوات خاصته . وبالعكس كل ما يضعف الجسم يؤدى الى التهيج العصبى وحدة المزاج والخلل العقلى والتطير واختناق الرحم عند النساء (الهستريا) ويحدث فساداً مختلف الدرجات فى الأذواق والعواطف. وفى المخ مراكز مخصوصة اذا أصابها الأذى أفضت الى شلل الحركات الارادية والسكون والأندفاع من نتائج الأضطراب العصبى أيضاً . كل هذه الأمراض دليل واضح على وجود علاقة مؤكدة بين الأرادة وحالة المجموع العصبى

تأثير السن — فى سن الطفولة يكون المجموع العصبى عند الأنسان حاداً متنبهاً جداً . والتأثيرات شديدة الفعل والعادات سهلة الانطباع ، لان الطفل فى هذه السن لا يملك غير ملكة الحس

فالحس عنده يكاد يكون مادياً مظهره الجسم وحركات الاعضاء ووظائف الحياة الحيوانية . ومتى بلغ سن الرابعة الى الخامسة يبدأ فى التعقل والفهم على أول درجاته . ومن ذلك الحين يمكن التأثير فيه بفعل من الافعال العقلية بلا توسط المشاعر مباشرة . إذ تظهر فيه العواطف المختلفة كالحب والبغض ومعرفة الخير والشر

أما فى سن المراهقة فيكون المجموع العصبى قد بلغ أشده . وكذلك المضلات . فترى فيه حدة الميل مع عدم الثبات عليه . وتحكم الارادة مع سرعة التقلب . وحقاً أن الشباب يطبع فى الانسان الكبرياء والتحكم فيعيش مملوءاً امالاً وأطماعاً لاحدَّ لها . ويحتقر الغنى ويقدم الشرف على المصلحة ويحكم عواطفه على عقله فى غالب أقواله وأفعاله

وفى سن الكهولة تبطؤ فى الانسان الحركات الحيوية . وتزول منه الثقة العمياء ويحل محلها التفحظ والتعقل فاذا عرض أمر فحصه فحصاً ذاتياً لتعرف الحقيقة موفقاً بين الشرف والمصلحة معاً

أما فى سن الشيخوخة . فتهبط الوظائف العضوية وتعطب وتضعف الملكات العقلية وتنضب ويشتد الحذر ويكون من أخص صفات الأنسان الخوف والاحتراس فلا يجزم بشى مطلقاً وتؤثر التغيرات الناشئة من تقدم السن فى حالته الجسمانية والادبية بمقدار واحد

وبجانب تأثير السن يوجد تأثير النوع — تفوق المرأة الرجل فى كل ماله مساس بالعواطف والحياة القلبية والتخيل ويتفوق هو عليها فيما يتعلق بالقوة المدركة وحياة الفكر والعقل — والمرأة تقنع مع الارتياح بالشرح والتفصيل وبالمحسوس . والرجل ذهنه منطق يسبح بسهولة فى المعنويات وعند المرأة تعمل الارادة . ولكن فى الباطن على الأخص وفى المرأة هدو وحنان . وعند الرجل تحول الارادة غالباً الى الخارج وتكون عدوانية . قليلة الأناة

تأثير المزاج فى العزم — قسم أبقراط الحكيم اليونانى الأمزجة الى

أربعة وهى المزاج الدموى والعصبي والصفراوى واللنفاوى . ولكل منها تصرفات أخلاقية خاصة به . فالدموى سهل الانفعال وأن كانت تلك الانفعالات غالبها ظاهرية تزول بعد . نراه دائماً منشرح الصدر . مستبشراً فرحاً . لا يعرف التطير . سريع الوعد قليل الوفاء . وذو المزاج العصبي نراه كالحزين أو كمن فى ضيق . يخرج عن حد الاعتدال بأقل الأسباب سيىء الظن متطير ينفعل بسرعة ثم نراه ينتقل من انفعال لآخر يخالفهُ بالمرة . وذو المزاج الصفراوى يكون فى إرادته قوة وحماسة أكثر من أصحاب المزاجين السابقين . وترى شهواته موجهة الى اغراض محدودة . شديد الحقد . سريع الغضب . وقد يذهب ببغضه بعيداً حتى الضرب واللكم

أما ذو المزاج اللنفاوى فيكون كثير التروى حليما ذا ثبات وقد يتجاوز حلمه طبيعة الحلم المألوف فيشتبه أمره بما يسمونه بالخمول وعدم الاكتراث

ومهما قيل فى قيمة هذا التقسيم فانه دلالة واضحة على وجود علاقة بين طبيعة تركيب الجسم والتصرفات الأخلاقية .

تأثير نظام المعيشة — قلة الغذاء أو الجوع يشلّ قوة الذاكرة وقد يذهب بها . والجوع الشديد يورث ضعف العقل ويميت الارادة . ويدفع الانسان الى الغلظة والشدة . وأرضاء الشهوات الجسمانية يضاعف الشهوات المضرة . وتقتل الفكر وتخمد العزيمة . وكذا الافراط فى تناول بعض الجواهر يحل الحياة الروحية مثل المسكرات والافيون والمرفين وغيرها هذه

كلها يضطرب معها نظام التخيل وطبيعة العواطف وتؤثر بالوراثة فى النسل والذرية

تأثير الصحة والمرض — صحة الجسم تؤدى الى حسن نظام جميع القوى والملكات للحياة الروحية أما الامراض فتنشأ عنها كل اضطراب فى هذه الحياة وأنك لتجد لكل مرض أثراً ظاهراً فى تصرفات الانسان الاخلاقية فمثلاً أمراض المعدة تورث ضيق الخلق وقلة الكلام وامراض الكبد تورث الحدة والحقد . والامراض العصبية تورث ضعف العقل والهذيان والجنون وهكذا

« فالنفس كما قال (لايبنز) — مرآة الجسم » وبالحرى تكون مرآة العالم باسره . غير ان ذلك لا يكون صحيحاً على إطلاقه لانه يوجد بين الحياة الروحية والحياة الجسمانية بعض فروق لا تتناسب مع ما ذكرناه آنفاً : مثلاً نرى بعضاً من ذوى العزائم القوية على حين ترى اجسامهم ضئيلة منهوكه . أو من ذوى القرائح الذكية مع أن فى تركيب اجسامهم نقصاً أو تشويهاً أو يكون المخ أصغر حجماً من حجمه المعروف وقد يكون اكبر حجماً وصاحبه أبله ناقص العقل وهكذا ولكن كل ذلك شواذ

أما القاعدة فهى ان القوى الجسمانية بلا شك هى المعينة الطبيعية للقوى الروحية كما ان القوى الروحية لها تأثير محقق فى القوى الجسمانية . مما يدل على أن الوجدان هو مصدر الحياة

احوال تعلق الجسم بالنفس

تأثير الانفعالات — للنفس تأثير عظيم فى الجسم يظهر عند الانفعالات النفسية سواء أكانت مؤلمة أو سارّة. يتضح ذلك من مشاهدة الحركات الاعتيادية للحزن أو السرور كالبكاء واشارات الجزع والندم والضحك واشارات الفرح والارتياح وغير ذلك فقد يموت أو يجن المرء من شدة الحزن او الفرح على حد سواء او يقع فى مرض من الأمراض بسببها . او يفقد شهية الأكل او الشرب وتضطرب اعضآء الهضم عنده ما يضطرب القلب فيعلو وجهه احمرار او اصفرار

تأثير الأفكار — للأمور العقلية أيضاً تأثير فى الجسم شبيه بتأثير الانفعالات فقد قيل بحق أن كل صورة أو كل معنى قوة فى ذاته . وفى الواقع ان مثل هذه العناصر لم تكن بالأشياء العقيمة بل هى ميول تتطلب تحقيق وجودها الخاص وفكرة أى عمل هى توجه يدفع الانسان الى هذا العمل أو بالحرى هو البدء فى العمل ذاته — فمثلاً فكرة الخروج للتريض فى الخلوات هى بناء على ذلك اتمام فعل الرياضة فى المخ نفسه لأن الخلايا العصبية تنفذ فعلاً بعض حركات معينة عند حدوث الفكرة ، وبهذه الكيفية تتم عملية غريزة التقليد . فان مجرد ادراك الفعل والميل الى اتمامه أو محاكاته شىء واحد . أى ان الحركات المخية تتم قبل الحركات الخارجية وبالتطبيق لها . وفكرة التثاؤب تجلب التثاؤب . وفكرة الخوف تسبب دواراً يؤدى الى الوقوع من مرتفع أو فى هاوية . وفكرة تناول مسهل

قد تفعل مفعول المسهل ذاته . والاعتقاد فى دواء أو مهارة طبيب قد تكون سبباً فى شفاء المريض أو تخفيف آلامه . والفكرة فى الحلواء تسيل اللعاب كما أن المادة الحريفة تهيج الشعور وهكذا . ومن ذلك تأثير الأفكار فى التنويم المغناطيسى فان الوهم ينيم الشخص ويجعله تحت سلطان المنوّم كما سيجىء

وللارادة تأثير أيضاً فى ذلك بمنع بعض الحركات أو تحقيق بعض الأفكار . وكذلك للعادة تأثير ظاهر فى تركيب الجسم فتترك فيه أثراً وقتياً أو مستديماً . لأن الميول الباطنية للوجدان تتمّ عليها الحالات الوقتية أو الحالات المستديمة وهى الملامح . كما يعرف المنافق أو الكاذب من عينيه وكما تدل سحنة الرجل على صناعته فانه من السهل معرفة رجال الجندية والموسيقى أو رجال المعمار وغيرهم

تأثير الشغل العقلى — لا شك ان عمل الذهن يزيد فى ارتفاع درجة حرارة الرأس ويتعب المخ والاجهاد العقلى يضنى الجسم ويؤثر فى الحياة الفسلوجية فيولد الانيميا (فقر الدم) والحميات . وكثيراً ما يؤدى الى الجنون

فى احوال مخصوصة للنفس والجسم

ان الارتباط المتين بين الجسم والنفس يفسر لنا بعض أحوال مخصوصة غير عادية ذات حركة آلية نفسية مثل النوم والأحلام واليقظة النومية والخرف والبله والجنون

النوم — هو خمود دورى يعترى بعض الوظائف الحيوية والنفسية

(كالتحرك والحواس والادراك) وهذه الظاهرة الغريبة توقف أو تضعف الارادة والحرية فتجعل الانسان لا يدرى ما يفعل ولا يميز بين الخير والشر وما يجب وما لا يجب

والنوم من ضرورات الحياة العضوية بما يعترى حركة المجموع العصبي من الكلل والذهن أو الجسم من التعب بفعل التغذية وتأثير البرد والحر أو صوت راتب أى على نسق واحد مستمر واقتراب الليل وغير ذلك — ومما يطرد الكرى أو يؤخره عن وقته البحث والمطالعة والمسامرة واللعب والمناظر الملهية أى كل ما من شأنه أن يوقظ الادراك ويهيج الحساسية

وتختلف الأحوال النفسية والفسلوجية للنوم باختلاف درجة الخمود ان كان خفيفاً أو شديداً

الأحلام — الحلم هو تداعى المعانى أو الصور الخاصة بحالة النوم — هذه المعانى أو الصور الغريبة المتباينة الشاردة المشتتة تتوهمها وقائع صحيحة وتخالها حقائق وهى خيالات

والأحلام ليست الا صدى ما يشغلنا فى اليقظة ويؤثر فى احوالنا النفسية كالحزن والآمال والخوف والأمراض والتعب ووضع الجسم أثناء النوم — واذا استمرت الأحلام طول مدة النوم كان ذلك دليلا على فقدان الراحة التامة للنفس والجسم

اليقظة النومية والتنويم المغناطيسى — اليقظة النومية هى نوم غير تام تبقى فيه حركة النفس حافظة لحالتها الطبيعية بل قد تزيد تلك الحركة عن اعتيادها لذلك يمشي النائم اليقظان كما يمشى فى اليقظة التامة وتعمل

حواسه تماماً وتصدر عنه الافكار مرتبة ترتيباً منطقياً وقد يتوصل الى محادثة الغير بشرط أن يكون موضوع الحديث نفس الوساوس التى تشغله عادة

واليقظة النومية هى حلم عملى — أى حلم يشخصه النائم بحركات وأقوال لا يعرفها ولا يذكرها عند اليقظة

وهذا النوم الغريب يحصل بالتأثيرات المغناطيسية الحادثة من نظرة حادة من الشخص المنوم أو بمجرد ارادته — وقد يحصل التنويم بوضع شىء لامع كالمرآة قرب العينين واطالة النظر فيه

وللتنويم المغناطيسى أخطار لأن أثره واقع على المجموع العصبى تأثيراً فجائياً فيحدث فيه احياناً اضطراباب لا تشفى وكل تجارب التنويم تضر بالجسم المنوم وقد تحدث الوفاة عند الاشخاص الذين لديهم استعداد للنزيف المخى أو ضعف فى القلب — ويبقى المنوَّم تحت تأثير المنوِّم فيأتمر بأمره وينتهى بنواهيه حتى فى اليقظة فينفذ ما يأمره به فى نومه بعد يقظته وقد شوهد أن أناساً من هؤلاء ارتكبوا جرائم بعد بضعة أشهر بغير أسباب ظاهرة

أما الخرف فهو مرض فى العقل يجعل صاحبه يرى أشياء ويسمع أصواتاً وفى الحقيقة لا شىء ولا صوت وأسبابه اضطراب مخى قد ينتهى الى الجنون اذا زادت درجته وكذلك الجنون هو اضطراب جزئى أو كلى فى القوى النفسية فتكون قوة التخيل غير منظمة أو ليس لها ضابط من العقل والارادة وينشأ من عدم نظام الجسم أو النفس على أثر الافراط فى المسكرات وسوء السلوك . . . والفزع الفجائى وشدة الغضب والحزن الشديد . أو أى تأثير يصيب المخ بأذى أو يحدث فيه التهاباً

والبله هو ضعف الملكات العقلية وينشأ من نقص فى المخ

فهذه الاحوال غير المادية كلها واضحة على ما سبق بيانه وهى شدة الارتباط بين الجسم والنفس

واذا صح القول بأن الانسان عبد شهواته فالانسان أيضاً عبد أعضائه لانها تسترقه حسب نقصها أو كمالها

﴿ الشبه بين الحيوان والانسان ﴾

للحيوان أعضاء حساسة كما عند الانسان ووجود هذه الاعضاء يستلزم وجود ملكات كالحساسية المادية مثلا بدليل مايبديه من الحركات والاصوات وظهور بعض العواطف الشبيهة بالعواطف الانسانية عند بعض الحيوانات كمحبتها لصغارها والدفاع عنها والغضب والحقد والفرح والسرور بحسب ما يظهر لها من حسن المعاملة أو سوئها

وللحيوان أيضاً أنواع من الادراك ولكنه أحط مما عند الانسان بكثير:

(١) كالادراك الظاهرى فانه يرى ويسمع ويشم ويذوق، وكالادراك الباطنى فانه يعرف ما يقع عليه ويتأثر به

(٢) وكذلك الأمور المادية فانه يعرف الأماكن والأشخاص والأشياء

(٣) التخيل المنتج كبقاء الصور المادية التى يراها فى مخيلته وتذكرها عند الحاجة بطريقة اشتراك الخواطر فمثلا يمكن منع الكلب أن يمس شيئاً من المأكولات بجعله يذكر ما يلحق به من الضرب اذا هو خالف

ويسمى الحيوان بحركة ارادية لأنه يتصل بغيره من الحيوانات الأخرى ويسعى للبحث عن قوته ويعقل كل الحركات التى مصدرها الغريزه والعادة عنده — وذلك مما يبطل القول بأن الحيوان ليست له ارادة بالمرة وان هو الا آلة يعيش ويتحرك كما تتحرك الآلات الميكانيكية وهو مذهب الشهير (ديكارت)

الفرق بين الحيوان والانسان

ليس للحيوان قوة الادراك الحقيقى كما عند الانسان ولا الملكات التى تتعلق بها — خلق وليس يعرف المعانى المجردة ولا العامة ولا يدرك معنى الحقيقة ولا الجمال ولا الخير — مجرداً عن قوة الحكم والقياس لأنه ليس فى مقدوره التأمل والتفكر وألاّ لشاهدنا فى الحيوان قوة الاختراع والرقى الاجتماعى، على أن كل أنواع الحيوان على ما هى عليه من عهد خلقتها الى اليوم كما قال الشهير (يوسويه)

نفس الحيوان — يقول الفلاسفة ان الحيوان مهما كان ناقص التركيب فان له نفساً وهذه النفس بسيطة لا تجزأ ذات معرفة وعواطف ولكنها مجردة من صفتى الروحانية والخلود

أما روحانية النفس فخواصها التأمل والعقل والحرية الأدبية (الاختيار) ولما كان الحيوان لا يعقل ولا يتأمل ولا يميز بين الحق والباطل ولا بين العدل والظلم فهو لذلك لا يسئل عما يفعل لأنه يسير بغير ارادة عاقلة —

كانت نفسه روحاً منحطاً أى لا توجد بغير الجسم فهى (نفس حسية)[1] أما خلود النفس فيتعلق بما تهيأت له بأصل خلقتها وسمو ملكاتها ورغائتها وليس فى الحيوان ولا فى ملكاته وما تصبو اليه نفسه ما يتحقق معه معنى الخلود كما فى الانسان

﴿ الأنيّة والغيريّة ﴾

(le moi et le non-moi)

قد تسمى النفس فى علم الفلسفة بالأنية أحياناً لأنه بالرغم من تغير الجسم المستمر تبقى الأنية نفسها واحدة لا تتبدل . أما الأنية على المصطلح الخاص فهى ما يعبر به عن وحدة الشخص البشرى : فالأنية هى اتحاد النفس والجسم اتحاداً جوهرياً يكون ما يعرف بالكائن الانسانى أو الكائن البشرى

كيف عرفت الأنيـة ؟ متى راجع الانسان نفسه بالتأمل والفكر فأول ما يدرك سلسلة من الحالات المختلفة الطبائع مثل انفعالات وخواطر وأفكار تتعاقب وتتكرر بلا انقطاع فهذا الجريان المتباين وهذا الاطراد الحى هو أول مدركات الوجدان أى أول ما يدرك مباشرة . ومع ذلك فان من بين هـذه الظواهر كلها نشعر بحقيقة دائمة نشعر بوجود مركز تنبعث منه جميع هذه الظواهر على اختلافها وهو ثابت دائم وسط هذا الجريان المتقلب وهو ما نسميه « بأنيتنا »

---

(١) لتميزها عن النفس الناطقة وهى النفس البشرية

وفى الواقع ان تقلباتنا الباطنيـة التى ننسبها الى أنيّتنا ونعدها من حالاتها وتطورها الخاص تميز عنها ولا تختلط بها لشعورنا بأن لها وجوداً حقيقياً وحقيقة ثابتة . فمتى قلت — أحسّ . فلست أنا ذلك الحس . بل ان شخصى يبقى مع زواله كما بقى مع زوال الحالات السابقة وكما سيبقى مع زوال الحالات المستقبلة

وبالجملة فالأنية تمثل لنا عيناً تفيض منهـا جميع الظواهر الباطنية ولكنها ليست تلك الظواهر بل هى شىء آخر يتميز عنها

صفات الأنية — مما تقدم تعلم أن الأنية تظهر لنا أنها ذات صفات متباينة فهى وحدة وكثرة : وحدة لأنه لا يمكن قسمتها على الاطلاق كما تقسم الأشياء الخارجية مثل الحجر والخشب والحديد وغيرها

وكثرة لاشتمالها على قوى مختلفة ووظائف متنوعة وخصوصاً اختلاف طبائع الحالات المكونة لحركتها وحياتها

تظهر لنا أن لها ذاتية واحدة وأنها متنوعة دائماً أما كون ذاتها واحدة فلأننا لا نعمل الاّ مع أنية واحدة هى بعينها فى الحال والماضى والاستقبال لذلك يمكننا أن نتذكر ما مضى ولو كانت غيرها لاستحالت تلك الذكرى

وأما كونها متنوعة دائماً فلأنها ليست بشىء معدوم الحياة بل هى كائن حىّ يتفتح مع الوقت كما تتفتح أكمام الزهر وتتلون بأزهى الألوان وترى الظواهر النفسية تتجدد وتتنوع بلا وقوف ولا انقطاع . ولا تجـد لأنية متجانسة فى زمنين مختلفين . ولذلك قالوا ان الوجدان اذا وقف غيره انتهى وجوده

وتظهر الأنية لنا أنها وقتية ودائمة : أما كونها وقتية فلأن كل حالة أو ظاهرة من ظواهرها سرعان ما تظهر ثم تختفى ويعقبها حالات اخرى وقتية كذلك . من ذلك قالوا ان الأنية فى صيرورة دائمة . وأما كونها دائمة فلانها تبقى حقيقة دائمة وأبداً حتى وسط هذه الصيرورة الدائمة فهى لا تموت بزوال كل حالة ثم تحيا بظهور الحالة التالية لأنها ليست وجودات متتابعة وقتية . بل هى وجود دائم وفى هذا المعنى قالوا ان الأنية جوهر . أى حقيقة ثابتة مع توالى حالاتها وتغيرها كما علمت . وهو سر التناقض الذى نشاهده أيضاً

وللفلاسفة عدة نظريات فى حقيقة الأنية أهمها اثنتان

النظرية الأولى يقول أصحابها ان الأنية حقيقة منفصلة تمام الانفصال عن الظواهر ولها صفات مخالفة لصفات الظواهر نفسها . والأنية وحدة والظواهر كثرة . والأنية واحدة فى ذاتها والظواهر مختلفة بعضها عن بعض والأنية دائمة والظواهر وقتية

ولذلك كان الاختبار الباطنى مصدراً لطائفةٍ من المعانى ذات الشأن التى عجزت عن بيانها المشاعر مثل معنى الجوهر ومعنى العلة ومعنى الغاية فالاختبار الظاهرى لا يوصلنا الاّ الى ظواهر وقتية لأنه لا يواجهنا الاّ بصفات محضة دون أن يعرفنا ان كان هناك وراء هذه الصفات حقيقة أم لا أما الاختبار الباطنى فقد عرفنا أن الأنية ذات وجود دائم توصلنا به الى معرفة التغييرات ومصدر هذه التغييرات الحقيق

وكذلك معنى العلة فانه لا يمكن الوصول اليه من طريق الحواس لأنها لا توصلنا الاّ الى الظواهر دون معرفة القوة الكافية لتوليد هذه الظواهر ولكن الأمر على خلاف ذلك فيما اذا رجعنا الى الاختبار الباطنى مثلاً اذا أردنا شيئاً فاننا نعمل مجهوداً يناسبه وعلى أثر هذا المجهود تحدث حركة فى جسمنا نشعر بأن أرادتنا أو مجهودنا هو علة الحركة . وفوق ذلك فان الأنية حركة بذاتها ومنها مباشرة يكون شعورنا بالعلة

وكذلك معنى الغاية فاننا لم نعرفه من طريق الحواس لأنها لا توصلنا الاّ الى معرفة أشياء وظواهر فحسب كما تقدم القول ؛ على أننا ما نفعل أمراً ولا نتحرك حركة الاّ لنصيب بها غرضاً ما ، وذلك الغرض هو الغاية ، أما فعلنا فهو الواسطة الاّ أن هذه النظرية أثارت اعتراضات عديدة — منها أننا لم نقف تماماً على حقيقة هذا الجوهر المدعى بأنه منفصل تماماً عن الظواهر . ومنها أننا متى أردنا ادراكه فانما ندرك ظاهرة مضافة لغيرها من الظواهر الأخرى . ومنها أن الأنية ليست الاّ جوهراً مجرداً أى ليست له صفة فردية خاصة . ومنها أن الادعاء بوجود جوهر مخالف تماماً للحالات والظواهر لا يكفى لأن يكون صلة بينهـا ولا يفسر لنا معنى وحدة الحياة الروحية فى الإنسان

النظرية الثانية — ينكر أصحابها وجود جوهر الأنية الموهوم ولا يعترفون الاّ بالظواهر ويقولون ان الأنية هى مجموع حوادث أو ظواهر وينكرون القول بوحدة الأنية وذاتيتها واستقرارها باعتبار أنها أمور وهمية باطلة لا دليل عليها . ويقولون أننا لو أعرناها مثل هذه الصفات

فانما نجرد من الحوادث صفتها المشتركة وندعى أن هـذه الصفة شيء مخالف للحوادث نفسها

ويستند أصحاب هذا المذهب على نظرية « تعدد الشخصية أو تعدد الوجدانات » المعروفة فى (البتولوچيا) (علم علل الأمراض وأعراضها). فان المصاب بالمرض العصبى اذا حضره الدور انقلب شخصاً آخر تسمع منه أقوالاً ويروى لك أخباراً أو قصصاً قد لا يعيها متى فارقه الدور العصبى

هذه الأحوال دليلهم على أن الأنية هى نتيجة العمل الميكانيكى للحس وهى تتغير حتماً بتغير الحس نفسه

ويرد على أهل هذا المذهب (أولاً) ان رأيهم هذا لا يوصل الى وحدة الحياة الروحية (ثانياً) لا دليـل مطلقاً يؤدى الى تصور أن الأنية مكونة من ذوات روحية مرصوصة لا ارتباط بينها (ثالثاً) من المستحيل أن تكون الأنية سلسلة احساسات أو حالة مركبة منها لأن كل سلسلة لا بد لها من رابط يربط اجزاءها المختلفة . وكل تركيب لا بد له من قوة مُوحِّدة

وأما الحالات العصبية المقول عنها فى علم البتولوچيا فهى فضلاً عن كونها نظريات غير نهائية أى لم تثبت أنها قاطعة فانها ضرب من العلل النفسية التى تمنع الأنية من أن تتكون بنظام

حقيقة الأنية : —

أما حقيقة الأنية فهى ليست جوهراً ولا هى مجرد مجموع ظواهر نفسية بل الأنية هى قبل كل شيء « خاصية تأليف » (Activité de

(synthèse هذه الخاصة تتسلط على التغييرات الباطنية المختلفة وتردها الى الوحدة اى الى حياة واحدة

والحياة المادية لا ترغب فى الدرك الاسفل ولا يتيسر لها الصعود الى الملأ الأعلى . بل تتراوح بين هذين الحدين القصيَّين . فهى كما قال مين دى بيران (Maine de Biran) جهاد مستمر لتحقيق وحفظ الوحدة فى هذه الكثرة (تعدد الحالات الباطنية) فكلما كانت هذه الوحدة قوية كانت قوة التأليف متينة . وكانت القوى المعنوية منظمة وكانت الأنية مكونة تكويناً حقيقياً . فقد يوجد أناس ليست لهم انية محدودة بل لديهم عدة منها فتراهم تحت تأثير طائفة من الميول المتباينة المتضاربة تتسلط كل منها عليهم بالدور والمناوبة . ويوجد آخرون تكون القوة المؤلفة فيهم ضعيفة بسبب خصاصة النفس La misère psycholo- (gique فترى الظواهر النفسية المختلفة لا ضابط لها تتراكم كلها بغير نظام حول الحس الشخصى الواحد فتبقى هائمة مشتتة فى معزل عن الأنية ومهددة بالانحلال

وفى الواقع ان للأنية درجات ومن الخطأ البيِّن الاعتقاد بانها واحدة عند الأشخاص المختلفين بل تختلف فيهم باختلاف تركيب الحياة النفسية وقوة التماسك فى بنيتها . ولذلك قالوا ان الأنية الحقيقية أى المكونة تكويناً تاماً خيال اكثر منها حقيقة

فالرجل ذو العزم « أنيَّة » حيث تكون الحياة فيه شعرية ومثالاً عجيباً فى التعقل واصالة الرأى

وعلى كل حال فالأنية شيء على خطر التكوين لا شيء مكون. ولكل انسان ان يعمل فى تكوينها بالثبات والجهاد المستمر. فانه بقدر امتلاكنا لناصية قوانا الباطنية نتنظم ونسير نحو الغاية التى قصدناها. وبقدر ما نستعمل عقولنا فى رفعة غايتنا نحو كرم النفس والنزاهة نكوّن أنفسنا بأنفسنا ونخلق لها انية حقيقية

الغيرية — حالات الوجدان تشهد بوجود اختلاف جوهرى بين ادراك الأنية وادراك الغيرية فاننا اذا رجعنا الى ادراك حالاتنا الخاصة بواسطة الحاسة الباطنية مثل اللذة والألم فاننا ندركها على أنها دون أن نسندها الى أسباب خارجية. ولكن اذا رجعنا الى ادراك الأشكال والأحجام والحركات وغيرها من الموجودات الخارجية فاننا لا نظنها أبداً من حالاتنا الخاصة بل نعتبرها اشياء خارجية عنا. مثلاً اذا أصاب أصبعك وخز إبرة تدرك فى الحال وبالبداهة ان الطرف الحاد من الخارج وهو الإبرة والألم منك وهكذا فى جميع أحوال الادراك الظاهرى خصوصاً اللمس والمقاومة فاننا ندرك الأنيـة والغيرية معاً بفعل واحد غير قابل للتجزئة يشمل الاثنين معاً على أن كلا منهما يبقى منفصلاً عن الآخر وخاصاً بذاته

الجزء الثانى

علم الجمال

الجمال والفنون

علم الجمال — ان رغبة الانسان فى الوصول الى حقائق الأمور لا تقف عند حدود العلم مهما كانت قوته فهو من هذه الناحية لا تروى له غُلَّة . ولا يكفى لما تنزع اليه نفسه . بل نرى الانسان يشعر بانفعال خاص عند ما يقع بصره على صورة من صور الجمال فى عالم الطبيعة على أن اللذة التى نشعر بها من مشاهدة المناظر الطبيعة لذّة غير كاملة إذ لم تستكمل تلك الأشياء كل الصفات التى تصبو الأذهان اليها ؛ لذلك خلق الانسان لنفسه عالماً ممتازاً ذا منظر محسوس مؤثر اكثر وضوحاً وبياناً يبهج النفس بهجة تنعشها وتزيد من نشاطها وقوتها تلك هى الغاية التى ترمى اليها الفنون ، وكان من ذلك أن وجد علم جديد ، علم الجمال والفنون ، ولما كان علم المنطق يُبين لنا طرق التدليل للوصول الى الحقيقة وعلم الأدب ما هية الخير وشروط تحقيقه كان علم الجمال كذلك مبيّناً للقواعد الضرورية لابراز الجميل فالمنطق للقوة المدركة ، وعلم الأدب للإرادة ، وعلم الجمال للحساسية

الجمال وطبيعته — الشيء الجميل يختلف عن الشيء المقبول — لأن رؤية الجميل تكون دائماً مصحوبة بلذة مادية ومعنوية يمتاز بها الجمال —

وأما الشيء المقبول فقد لا يكون جميلاً ، لأن مناسبة طعم الشيء أو رائحته لا تكفي لتحقيق شروط الجمال فيه — وليس للخيال حواس غير السمع والبصر . وقد عرف بعضهم الجمال بأنه المظهر التام للنظام أو هو كما قال أرسطو ما جمع بين الفخامة والنظام . أو هو التفرد عند اختلاف المتشابهات أو هو ما بلغ حد الاعجاب والإطراب

وعلى العموم فالجمال من المعاني الأولية التي لا يمكن تعريفها

الجمال والمنفعة — الشيء الجميل يختلف أيضاً عن الشيء النافع — لأنه يوجد عشرات أو مئات من الأشياء النافعة ليس بينها جميل ، وكذلك توجد أشياء توافرت فيها شرائط الجمال وليست بنافعة مثل تمثال أو لوحة رسم . وحقيقة يعجبنا في الجميل حسن الائتلاف والتناسب بين اجزائه المختلفة فهو آية من آيات النظام

وللنظام روائع كما لا يخفى لا حد لنهايتها — والشيء الجميل ملحوظ فيه الشكل والظواهر الخارجية في حد ذاتها بصرف النظر عن كونه نافعاً أو مقبولاً أولا نافعاً ولا مقبولاً باعتبار مرافق الحياة . لا يبحث فيه عند مادته ولا عن مشموله — ولذلك كان الشيء النافع مادياً دواماً —

أما الجميل فقد يكون خيالياً — يعيش الانسان بغير رؤية الجمال ولكنه يعيش محروماً من زينة الحياة وفي الواقع أن الشيء الجميل من الكماليات غالباً

الجمال والحقيقة — الجمال غير الحقيقة — لأن الجمال قد يكون خيالاً محضاً والحقيقة كذلك ليست جمالاً . والحقيقة غير محسوسة وأما الجمال فهو أشكال وصور محسوسة

وتختلف وجهة الحقيقة والجمال فيتعارضان . فان الحقيقة قد تهمل الفرديات ولا تشتغل الاّ بالكليات . على أنه بالعكس قد يصل الفنّ بالحدس الى صفة من الصفات الفردية تبعث فينا كل الجمال

فاذا نظرنا بناءً هندسياً أنيقاً فانه يؤثر فينا تأثير الجمال أيضاً لا لأنه مبنى على أصول هندسية وحقائق علمية بل أعجبنا منه هندمته وأثر فينا تناسب مبانيه ونظام أشكاله وقوة التخيل التى أخرجت تلك الصور من القوة الى الفعل

الجمال والخير — خلط فلاسفة اليونان بين الأمرين وجعلوهما واحداً ولا شك أنهما متقاربان فحسب لأن الخير لا يكون دائماً جميلاً فدفع الضرائب لحكومة البلاد للقيام بالشؤون العامة خير ، والاحسان خير ؛ ولكن هل يقال انها من ضروب الجمال ؟ وكذلك ليس كل شيء جميل فعلاً من أفعال الخير فكثيراً ما نشاهد صوراً تمثل أشخاصاً أو حوادث تاريخية فتؤثر فينا تأثير الجمال وقد كانوا من أسوأ الأشخاص وأشأم الحوادث فى التاريخ

وبين الجمال والخير فوارق أخرى فان الخير محتم علينا لأنه واجب من واجبات الانسانية والجمال لا يكون الاّ محلاً للأطراب والأعجاب

والخير يأتى عادة على أثر شعور الحنو أو التألم أما تأثير الجمال فهو شعور انتعاش وسلام

وليس هناك ما يمنع أن يبرز الخير وعليه مسحة الجمال ، ولا يقصد بذلك المبالغة فى الاحسان أو اخراج العطاء عن حد المألوف ولكن يلبس فعل الخير حلل الجمال اذا خرج على أشكال محسوسة عند تصويره بأقلام الكتّاب والمصورين . فى هذه الأقلام تسلية المحزونين وعزاء المنكوبين وبهجة النفوس وزينة الحياة

نظرية الجمال — النظرية الأولى — يقول أصحابها أن الجمال يتعلق بوجدان الانسان أكثر مما يكون فى الشىء من الصفات والخصائص وأساس هذه النظرية أن الأشياء لا تظهر لنا بمظهر الجمال الاّ اذا تأثرنا عند مرآها بلذة على وجه خاص فجمالها هو تلك اللذة التى تعرض لنا

وفى هذه النظرية أثر من الحقيقة فانها توضح لنا شرطاً لازماً لظهور عاطفة الجمال — وهو رؤية الشىء مع خلو البال . يفسر ذلك حالة المتأملين فى عالم المخلوقات ترى كثيراً منهم تمر بأبصارهم الأشياء وهم بعيدون عنها لا يلفت نظرهم دقة صنعها ولا مكانها من الابداع بينما نرى نفراً قليلاً يمر بهم حادث بسيط من ظواهر الكون أو يقع بصرهم على كائن من الكائنات فيؤثر فيهم تأثيره الخيالى وتنكشف لهم سرائره وتتجلى فتتدفق الحكمة من افهامهم ما شاءت قدرة خالقه سبحانه — ووصف أصحاب هذه النظرية أمثال هؤلاء بصفاء الخلقة والاستعداد الخاص فتؤثر فيهم بهجة الألوان والألحان وبدائع الأشكال وظواهرها فيتيهون فى تأملاتهم كأنهم فى ذهول

دائم أو سبات عميق تلك طبائع أهل الفنون الجميلة

لا شك ان لدرجة صفاء البال و بعد الأذهان عن مشاغل الحياة ومتاعبها أو قربها أثراً عظيماً فى تقوية الشعور الخيالى عند بعضهم وضعفه أو فقدانه عند الآخرين

ولكل صانع من أهل الفنون فى عمله غاية يرمى اليها وحُلم يشغله لأن الصانع لا يشتغل لهواً ولعباً بل يريد أن يخرج من قريحته ووجدانه عملاً جدياً يمثل فكرة أو شعوراً أو خيالاً فى عالم الوجود تكون قيمته عظيمة لدى الجمهور إذ يناجي به الضمائر البشرية فتشعر بترديد صداه كلما وقعت عليه الأبصار

النظرية الثانية — اتفق علماء الفلسفة على أن التأثير الجمالى لا يظهر أثره الاّ اذا كانت ملكات الانسان تعمل بتفرغ وانقطاع لا يشغلها مصلحة عملية أخرى . وزادوا على ذلك ضرورة وجود صفات مخصوصة فى الشيء توحى الى النفس صفات الجمال

وما هـذه الصفات ؟ قال بعضهم ان الجمال يكون بنسبة القالب المفرغة فيه الأشياء والغرض المفهوم منه . وقال غيره ان الشيء يكون جميلاً كلما كان موضوعاً بنظام دقيق لفكرة مخصوصة . وقال آخر ان الشعور ينبعث من مجرد ادراك الفكرة . كل ذلك يدل على أن الجمال هو الالهام الحاصل فى فهم المقصود بتأثير الحس ولكلٍ قول فى تعريف الجمال يطول ذكره

الجمال انتصار الذهن الانسانى على المادة والقبح انهزامه أمامها . ماذا

يخالج الضمائر عند رؤية الجمال ؟ نشاهد روحاً تمكنت من قواها ولم نجد عائقاً فى سبيلها فنهضت بالمادة وهى صماء عديمة الحركة فخبرتها وجاست خلالها وشكلتها بشكل مفهوم ظاهر للعيان : قال نابوليون بونابرت عن المصور الشهير ريجو (وهو الذى صوّر أعيان المصريين أيام الاحتلال الفرنسى) انه يخلق من كل رسم فكرة جديدة حتى انى كثيراً ما كنت أبتهج برؤية صوره الجميلة

الجمال — الجمال مبناه على التناسب بين الأصل والشعور الانسانى ، أما الجلال فعلى العكس من ذلك . الشعور به تطيقه الطبيعة البشرية — وقد قسم بعضهم الجلال الى نوعين : جلال العظم كالحاصل من رؤية المحيط واتساعه أو الصحراء وامتدادها . وجلال القوة كالحاصل من رؤية أسد عند غضبه أو بركان فى ثورانه — أمام تلك المناظر تنهزم قوانا وتضل ملكاتنا

يحصل من رؤية الجليل العجب أو الاحترام أو الاعجاب أو الحماسة أو الدَّهَش — كل عمل جميل وجليل يرفع النفس الى ما لا نهاية له ، وهو الحد المشترك الذى تنزع اليه النفس من طريق الجمال والحقيقة والخير — أما القبيح فهو تغلب الفوضى على النظام وفقدان التناسب والائتلاف

عناصر الجمال — (١) الفكرة فى الجمال توحى الينا أولاً العظم كالامتداد أو العلو أو العزم أو الشرف سواء فى ذلك الأشياء الطبيعية أو أعمال الانسان ؛ ولكن العظم لا يكفى بمفرده لتوفر شروط الجمال بل لا بد من النظام فى تشييد ذلك العظم كالوحدة والكثرة والتناسب والائتلاف والملاءمة

(٢) لا يتولد فينا شعور الجمال الاّ اذا برز على شكل محسوس مؤثر فى الحواس تأثيراً يوقظ الالتفات ويدعو الى الاعجاب

أنواع الجمال — للجمال أربعة أنواع — الجمال الطبيعى والأدبى والخيالى والمطلق

الجمال الطبيعى هو (١) جمال الكائنات الغير الحية كعظمة الأنهار وجلال البحار والجبال والسماء

(٢) وجمال الكائنات الحية — كجمال بعض النباتات والأزهار والحيوانات وتلألؤ الذكاء والفطنة فى وجوه أصحاب القرائح . وسيما الاخلاص فى وجوه الأطفال وأمارات الفضيلة على وجوه الصادقين وأهل التقوى والصلاح

والجمال الأدبى هو ما يتناول الأفعال البشرية — كتسلط الارادة على الشهوات والميول وتضحية المصلحة الخاصة فى سبيل المصلحة العامة ، والاخلاص لغير غاية أو مصلحة ذاتية

والجمال الخيالى — هو قوة من قوى العقل والتخيل توصل الى الاختراع والتأليف بمساعدة الادراك الظاهرى والقوة الحافظة وهو ما يسمى بجمال الصناعة

أما الجمال المطلق — فهو الجمال الأقدس المنفرد فى جماله التام الدائم الذى وجد بذاته ولم يوجده أحد

﴿ الذوق والقريحة والعبقرية ﴾

الذوق ملكة مختلطة تتكوّن من الحس والتخيل والعقل الاّ أن للعقل المقام الأول فيها — واستكمال الذوق كاستكمال باقى الملكات بالتأمل والمران على النقد ودراسة النماذج العالية والاتصال الدائم بأهل الذوق الحقيقى

والقريحة هى استعداد جآء خلقة أو مكتسباً بالتعليم فتظهر به صور الجمال فى الشعر والخطابة والفنون

والعبقرية — هى موهبة من الله (والله يؤتى فضله من يشاء) صفاتها إلهام وقتى متى حل فى نفس جادت بالاختراع والأبداع وتقليد الجمال الجلال

﴿ الفنون ﴾

يوجد صنع الطبيعة فى الوجود ناقصاً أو مشوهاً ولذا يكون التاثير الجمالى منه ناقصاً أيضاً ومن هنا جاءت فكرة الاشتغال بالفنون ؛ فالفنون وجدت لتكميل ما عجزت عنه الطبيعة . فهى لتخريج الجمال ولا غاية لها غير ترضية النفس بما تتوق اليه وتنزع وهو الشعور بالجمال

والفنون هى مظهر الجمال وآياته مفرغة على أشكال محسوسة

قالوا «الفن للفن» بمعنى أن الفن علم مستقل بذاته لا يتعلق بغيره وليس الغرض منه تعليم أو تهذيب وكذا لا يستمد روحه من الحقيقة ولا من الخير كل ما يطلب الظفر به : اعجاب الجمهور

وليس الغرض من ذلك أن يطرح الفنىُّ الحقيقة والخير الى جانبه لأنه ان فعل لم يرض الملكات البشرية المختلفة وأثار عليه اعتراضات المعترضين ونقد الناقدين من أهل العقول والوجدان ؛ فالحقيقة والخير هما من الحدود التى ان تجاوزها الفن لم يحصل على الجمال وهو طلبته التى ينشدها .

فالفنىّ لا غنى له عن الاعتماد على النظام الطبيعى للجمال والحقيقة والخير

فكل صنع جميل حقيقة من الحقائق وله قيمة عند الجمهور حيث تجسدت فيه حقيقة خالدة ، وكذلك كل صنع جميل خيرٌ لبنى الانسان حيث يرفع النفس الى مستوى درجتها اللائقة بها ولو لحظة واحدة

من المستحيل أن يكون فى رؤية الجمال سقوط للنفس فالجمال لا يكون أبداً مفسداً ؛ انما يجب عليها التجرد من الملاذ المادية والشهوات الضارة ان هى أرادت أن تحس بمكانها من الرفعة والكمال

ولذلك قيل أن التربية الخيالية جزء من التربية الأدبية

مذاهب الفلاسفة فى الفنون — (١) مذهب الحقيقة — عرّف أصحابه الفن فقالوا هو تقليد الطبيعة أعنى انهم يقولون بأن لا غرض للفن الا نقل الحقائق كما تهدى اليه الحواس . فرد عليهم آخرون بأن المخلوقات توجد فى عالم الوجود وبها من النقص وعدم الكمال ما هو معروف فنقل صورتها يؤدى الى وجود تلك الصور كذلك أعنى خالية من عناصر الجمال اذاً لا فائدة من الفنون

(٢) مذهب الخيال — عرّف أهله الفن بانه تمثيل الخيال أعنى أن

الفن يحول عن الواقع ويجعل من الطبيعة خيالاً يمثل كل شيء على ما تشتهي النفس فرد عليهم آخرون بأن الفنون تصبح ولا قيمة لها ما دامت بعيدة من الحقيقة

والرأى الذى عليه المعوّل هو أن فى كل صنع فنىّ أمرين : الفكرة والشكل أى الخيال والحقيقة — ففى تمثال موسى عليه السلام الذى صنعه (ميكلنج) ترى الفكرة منه هى ما وهبه الله تعالى لهذا النبى من القوة والسلطان ، والشكل هو القامة والاعتدال والملامح التى تؤثر فى النفس بهيئتها وجلالها نخرج من ذلك على أن أصول الفن هى الخيال والحقيقة وائتلافهما أعنى بروز الفكرة مجسمة بشكل محسوس وتشكيل الحقيقة بما يهدى اليه الخيال . هو المثل الأعلى لها

قال الشهير باكون ان الفنّ هو مساعدة الانسان للطبيعة فى العمل لأن الأشياء تسير فى عالم الطبيعة تحت نواميس لا مناص للخلاص منها اذا تركت وشأنها . والفنىّ عند ما يتأملها بصفاء روحه وامتزاج عواطفه وتنكشف له حجب الغيب عن مكنون أسرارها يضحك من تلك النواميس التى أناخت على المادة فشوهت من خلقها فيسرع اليها ويزيح عنها ما أنقض ظهرها ويفك من قيودها واغلالها حتى تتمثل لخياله على حقيقة خلقها وما يجب أن تكون عليه لولا ضعفها حيال تلك النواميس وجبروتها أى مثال كمالها الأعلى

أقسام الفنون — يقسمون الفنون الجميلة الى عمارة ونحت وتصوير وموسيقى وشعر

فالعمارة تعرب عن جمال المادة فى الجمادات فتولد شعور العظم والتناهى والنحت والتصوير يعربان عن الجمال بتقليد النبات والحيوان فيتولد الشعور النفسانى وتظهر حالات النفس المختلفة وصنوف الوهم والحقائق حسب قدرة الصانع ونفوذ روحه ودرجة الالهام الذى اختص به وتفرد بين أصحاب الفنون الجميلة

والموسيقى — وهى صوت الجمال — تعرب عن العواطف والميول واذا ساعدها الكلام نظماً أو نثراً أعربت عن الأفكار البشرية كذلك

والشعر — وهو لغة الجمال — يعرب عن العواطف والأفكار بالكلام المقفى الموزون وهو أبلغ طرق المناجاة ومخاطبة النفوس وأكثرها رقة وأوسعها مجالاً وأعظمها إحكاماً وأوفاها بياناً

اذاً تكون الفنون على نوعين فنون البصر وهى العمارة والنحت والتصوير وفنون السمع وهى الموسيقى والشعر

(تم علم الجمال ويليه علم المنطق)

مصطلحات علوم الفلسفة

التي وردت في كتاب أُصول الفلسفة

A

المطلق Abslu - Absolute

أى الموجود المطلق المستقل الذى لا يتعلق وجوده على شرط ما – هذا ان كان صفة – أما اذا كان أسماً فهو الكائن فى ذاته وبذاته

وهو غير المشروط عند هملتون (Inconditionné)

انكار الذات Abnégation

أى تضحية النفس فهى ضد حب الذات . وقد وضع أصحاب الفلسفة الواقعية كلمة Altruisme بمعنى الايثار وهو أعلى درجات انكار الذات والاخلاص

فقدان الإرادة Aboulie

مرض عقلى يؤثر على قوة العمل عند الانسان

التجريد Abstraction

عمل من أعمال الذهن حيث يبحث فى الشىء من أحدى خواصه التى فى الحقيقة لا يمكن أن توجد منفصلة أو منفردة – وهو صورة من صور التحليل واذ كان التجريد تحليلاً فليس كل تحليل تجريداً

مجرد – معنوى Abstrait

ما كان ضد المحسوس Concret – وهو خاص وعام فالبياض معنى مجرد عام . أما بياض هذا الحائط فهو معنى مجرد خاص

obeikandi.com

أكاديمية Académie

من أكاديموس اسم صاحب الحديقة التى كان أفلاطون يعلم فيها تلاميذه ومتى قيل فلاسفة الأكاديمية كانوا أصحاب أفلاطون وهم الاشراقيون عند فلاسفة المشرق (والاشراق بمعنى الفيض) أو فلاسفة الليسية (Lycée) كانوا أصحاب أرسطو وهم المشاؤن عند المشارقة

معرفة ظنية Acatalepsie

وهى عند المتشككين جميع المعارف البشرية لقصور العقل الانسانى عندهم عن الوصول الى الحقائق

العَرَض Accident

هو ما قام بغيره . وهو غير الصفة حيث لا يستنتج من طبيعة الجوهر . وغير الظاهرة لأنه قد يزول وغير الخاصة حيث الخواص عند أصحاب (ديكارت) بعضها خواص أصلية كالفكر بالنسبة للنفس – والامتداد بالنسبة للأجسام

أما قولهم بالعرض فهو مقابل قولهم بالذات (par soi)

والعرض أحدى الكليات الخمس (les cinq universaux)

التعاليم السرية Acroamatique

وهى التعاليم التى كانت تلقى لخواص التلاميذ خوفاً من تأثيرها السيئ على العامة ويقابلها التعاليم الجهرية exotérique

الفعل Acte

وهو ما قابل القوة (puissance) مثل بالفعل actuel يقابل بالقوة potentiel التمثال موجود بالقوة فى كتلة الرخام قبل نحتها فاذا نحت كان موجوداً بالفعل

obeikandl.com

فعل محض Acte pur

وهو من صفات الله تعالى

العمل — الحدوث Action

عمل الوظيفة وعمل الملكة وعمل الإرادة الفعالة كلها أعمال أو أفعال actions وكلها نتيجة حركتنا ونشاطنا notre activité ومنه (مبدأ العمل الأقل) principe de la moindre action وخلاصته أن كل شيء في الوجود يتم في الطبيعة بأقرب الطرق وبأقل جهد أي أن الطبيعة تحصل في عملها عند تكوين الموجودات على أعظم النتائج بأدنى المجهودات

حركة النفس Activité de l'âme

أو نشاط النفس هو قدرتها على خلق أفعالها

التوفيق الملاءمة Adaptation

ملاءمة الأجسام العضوية وغيرها للوسط التي تعيش فيه . وقد تتحول رويداً رويداً الى أن تصير نوعاً آخر

التمثيل Analogie

وهو القياس بالتنظير والمشابهة . بمجرد تماثل أو مشابهة بين الأشياء . ولا يقتضي ذلك اتحاد في الذاتية أو اتحاد تام في الصفات

تداعي المعاني — إشتراك الخواطر Association des idées

هو ملكة من ملكات العقل متى ذكرت معنى جاءك معنى آخر لاشتراك بينهما أو اتحاد في موضعهما

obeikandl.com

المقدم Antécédent

المقدم هو الحد الأول من كل نسبة منطقية أو جدلية والحد الثانى هو التالى conséquent

الوراثة المنقطعة Atavisme

هى انتقال صفات أو استعداد الكائنات الحية الى أعقابها ولو خلت منها الأصلاب مباشرة فهى وراثة تتخطى بعض الطبقات وتظهر فيما بعدها

الجوهر الفرد Atome

هو العنصر الأولى . الذى لا يتغير فى تكوينه وشكله وحجمه ولا يتجزأ . تتركب منه الأجسام على مذهب القدماء

النفس الناطقة Ame humaine–human soul

هى نفس الانسان

النفس الحساسة Ame sensitive

هى نفس الحيوان عند أصحاب ديكارت

الحركة الفعّالة Activité motrice

وهى التى تكون سبباً لوجود غيرها

فعلى وانفعالى Actif et passif

الأول ما قام بالفعل والثانى ما وقع عليه الفعل

(١) أولى A priori

(٢) كسبى أو اكتسابى A posteriori

الأول ما كان سابقاً على كل تجربة . والثانى ما جاء بعدها . فالأول معناه

التصور المبنى على مبادئ العقل . والثانى تصور الشيء بعد التجربة بالترقى من المعلولات الى العلل ومن الأشياء الى قوانينها

تناقض Antimonie

هو اختلاف بين قانونين أو اثباتين ايجابًا وسلبًا وعند (كَنت) Kant تناقص العقل مع نفسه كلما حاول الوصول الى المطلق

علم طبائع البشر Antropologie

نقيض الدعوى Antithése

كقولك ليس للعالم أول فى الزمان ولا حد فى المكان وقولك لا شيء مركب من أجزاء بسيطة . وليس فى العالم بسيط – وذلك بعد دعوى (thése) نقول فيها للعالم أول زمانًا ومكانًا وقولك كل جوهر يتركب من أجزاء بسيطة . ولا يوجد فى العالم الاَّ الشيء البسيط أو المركب من البسيط

جمود Apathie

فقدان الشهوات . وعند (كَنت) الجمود الأدبى ونقصان العزيمه وعدم المبالاة بالأسباب التى تسير بحياتنا

ادراك بروية Aperception

وهو نوعان ادراك تجريبى وادراك محض وهو أرقى من الادراك البسيط (perception)

جوامع الكلم Aphorisme

وهو كل قول قلَّ لفظه وكثر معناه

نزوع — شوق Appétition

عند لايبنتز Leibniz هو ميل الموناد monades للتحول من ادراك الى آخر طبقًا للناموس الداخلى لنموها

قوة الشوق Appétit

هو النزوع عند القدماء . وعند فلاسفة اسكوتلندة الميل الطبيعى الخاص بالأجسام

التصور appréhension

هو أول عمل للفكر – تصور الشيء عند المناطقة أول أعمال الذهن وهى التصور والحكم والقياس والترتيب

الإختيار Arbitre (libre)

أو الحرية الأدبية – وهو أول عمل الإرادة مختارة بغير مؤثر خارجى ما

استحالة Altération

تغير فى الصفات دون الجوهر نفسه وفى التعريفات : الاستحالة حركة فى الكيف كتسخين الماء وتبرده مع بقاء صورته النوعية

التنافى Alternative

التنافى بين قضيتين معناه متى كانت أحداهما صحيحة تكون الأخرى باطلة . والتنافى غير التناقض Contradiction فان التناقض معناه أن النقيضتين المتناقضتين لايمكن أن يكونا صادقتين معاً مثل زيد انسان وزيد ليس بانسان

والتنافى معناه أن القضيتين المتناقضتين لا يمكن أن يكونا فاسدتين معاً كالوجود والعدم

الألحاد Atheisme

المحمول والموضوع Attribut et sujet

كل قضية تتركب من موضوع ومحمول ونسبة بينهما فالأول هو المحكوم عليه . والثانى هو المحكوم به (prédicat) والثالثة هى التعلق والارتباط بين الطرفين

حركة آلية Automatique (mouvement)

هى كل حركة تتكرر دائماً على وتيرة واحدة . بمؤثر داخلى لا خارجى

الإيحاء الذاتى Auto - suggestion

الهام نفسانى بالارادة أو بغير الارادة . مثلاً يحصل عند بعضهم أن ينام بعزم الاستيقاظ فى ساعة معينة فيتم له ذلك فعلاً . أو يخطر بباله شخصاً فيراه بعد قليل

راجع (suggestion)

الاثبات — الايجاب Affirmation

ويقابلهما النفى والسلب ويختلفان عن التأكيد (assertion) الذى يقابله الشك

الموافقة Assentiment

هو عمل من أعمال الذهن كموافقة رأيك لرأى الغير وهى غير القبول Consentiment الذى هو من ناحية الإرادة

المماثلة والمغايرة Assimilation et Différenciation

مُثُل أفلاطون Archétypes

راجع كلمة (Exemplaires)

بديهيات ومسلمات Axiomes et postulats

B

الصوت الراتب Bruit monotone

وهو الصوت على حالة واحدة وكذلك الصوت الرتيب (المخصص)

الحسن الأدبى Bonté morale

صفة للانسان يلقى بنفسه فى المخاطر لانقاذ غيره من حريق أو غرق أو نحوه

obeikandl.com

أقصى أماني السعادة — Bonheur idéal

علم الحياة — علم ظواهر الحياة — Biologie

ك

خاصية — Capacité

يميز بعض الفلاسفة الخواص عن الملكات الأصلية فيقولون أن الخاصية ملكة انفعالية . ومجرد قابلية . فالاحساس مثلاً خاصية لقبول التأثيرات الواقعة على الجسم . ولكن متى عاونها الانتباه تحولت الى ادراك أى ملكه حقيقية للعلم والمعرفة

المقولات — Catégories , prédicaments

مقولات ارسطو هى :

الجوهر — substance

الكم — Quantité

الكيف — Qualité

الاضافة — Relation

الفعل — Action

الانفعال — Passion

الأين — Lieu

المتى — Temps

الوضع — Situation

الملك — Avoir

الكليات الخمس — Catégoremes

وهى الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض العام

القضايا الحملية أو الحكمية Catégoriques (propositions)

وهى القضايا المنطقيـة ذات الحدود البسيطة ويقابلها القضايا الشرطية (hypothétiques) والقضايا المنفصلة Disjonctives

الأقيسة الحكمية مثال ما تقدم Catégorique (syllogismes)

الأمر بلا شرط Categorical imperative / Catégorique (impératif)

الأمر بلا شرط عند (كَنت) (Kant) خاص بالقانون الأدبى قانون الضمير فان لأوامره ونواهيه نوعان مشروط (hypothétique) وبلا شرط

العلية Causalité

وهى فعل العلة بصفتها علة أى الرابطة الحقيقية التى تربط العلة بالمعلول ومنها مبدأ العلية (principe de la . . . .) وقانونه كل شىء بدأ يوجد أو وجد فعلاً له علة وأنواع العلل كثيرة أهمها

العلة المادية Cause matérielle

وهى ما يوجد الشىء بالقوة

العلة الفاعلية Cause efficiente

ما يوجَد الشىء بسببه

العلة الغائية Cause finale

ما يوجَد الشىء لأجله

العلة الصورية Cause formelle

مايوجِد الشىء بالفعل

العلة الناقصة Cause partielle

ما كانت غير ذلك

دائرة فاسدة Cercle vicieux

مغالطة أو تقرير باطل . وهى بناء القضايا على قضايا أخرى محتاجة لاثبات كقولك الأفيون منوم لأن فيه خاصية التنويم

اليقين — الثبوت Certitude

وهو قبول الذهن لما علم قبولاً ثابتاً لايتحول . ونقيضه الشك لا الجهل كما قال بعضهم لأن عدم العلم لا يفيد شكاً ولا يقيناً

(١) الثبوت الخارجى Certitude objective

(٢) الثبوت الذهنى Certitude subjective

عند (كَنت) الثبوت الذهنى اعتقاد تام ناشئ من مطابقة الذهن لنفسه . والثبوت الخارجى اعتقاد ناشئ من مطابقة الفكر لحقيقة الأشياء فى الخارج الأول كشهادة الوجدان والثانى كاليقين العلمى

واليقين الخارجى هو البداهة

واليقين كذلك اما حدسى أو كسبى أو منطقى (مبنى على النظر القياسى) أو تجريبى (مبنى على ملاحظة الأمور)

الإيقان Cognition

وهو أخص من المعرفة ويقول (كنت) ان للحيوان حدساً وليس له ايقان لأنه غير مفكر

وفى تعريفات الجرجانى : الايقان هو العلم بحقيقة الشىء بعد النظر والاستدلال

الصدق والشمول Comprehension et extension

الإدراكات Conceptions

هى المعقولات الذهنية أى ما يدرك بالعقل (Conçus par la raison.)

ويقابلها المحسوسات ماتدرك بالحواس (Perçus par les sens.)

تصوّر Concept

المذهب المعنوى Conceptualisme

يقول أصحاب هذا المذهب أن المعانى العامة أو الكليات وان كانت أسماء عامة دالة على صفات لاتوجد الاّ فى أفرادها غير أن لها من جهة أخرى وجود حقيقى لأنها تصورت فى الذهن

يريدون التوفيق بين المذهب الوجودى (Réalisme) والمذهب اللفظى

نتيجة اتفاقية Conclusion

نتيجة لزومية Conséquence

(١) المعرفة المطلقة Connaissance absolue

(٢) المعرفة الإضافية Connaissance relative

الأولى ما تعلقت بحقائق الموجودات . والثانية معرفة خليط بين حقائق الأمور وطبيعة الوجدان والذهن البشرى

Connaissance objective

(١) المعرفة الخارجية أو المعرفة الموضوعية

(٢) المعرفة العاملية Connaissance subjective

فالأولى هى التى تمثل لنا الأشياء كما هى فى ذاتها والثانية هى التى تمثل لنا الأشياء بحسب قوانين الفكر فقط

Connaissance intuitive المعرفة الحدسية

عند كَنت ما جاءت بمجرد التأمل البسيط فهي المعرفة الأولية (conn. à priori)

Connaissance discursive المعرفة الكسبية

ما جاءت بعد كسب ونظر

Connotatif مقومات الشيء — مشَخصاته

Conscience psychologique الوجدان — الحس المشترك

هو عرفان مصدره النفس وحالاتها

Conscience morale السريرة — الضمير

هو العقل عند تمييزه الخير من الشر

Conscience sensitive الشعور بالحس

Conscience intellectuelle ou de soi الشعور بالذات

Conscience (faits) وجدانيات

« (êtres) كائنات وجدانية (انسان وحيوان

Inconscience جمود الوجدان

Contiguité dans le temps الاقتران الزماني

Contiguité dans l'espace الاقتران المكاني

Contraposition العكس السلبي

Conversion négative (منطق)

الممكن — الجائز Contingent

ما جاز عليه الوجود والعدم و يقابله الواجب (le nécessaire) والممتنع (l'impossible)

التناقض Contradiction

هو اختلاف القضيتين ايجاباً وسلباً وهو غير العكس - (Conversion)

الرابطة العلاقة (فى المنطق Copule

الجسم (المادة والصورة معاً) Corps

التلازم Corrélation

تولد الكون Cosmogonie

مذاهب الأقدمين فى أصل العالم - منهم من قال أصل العالم الماء و بعضهم النار

علم الكون Cosmologie

علم البحث فى العالم ونظام العالم

شعوبى Cosmopolite

انسان يقول بمآخاة جميع الشعوب

حدوث العالم — تغيره Contingence du monde

مدرك Concevable

وهو أعم من الذهنى (intelligible) لأنه يشمل الذهنى والمحسوس

السديم Chaos

اتحاد Combinaison

تداخل المواد ببعضها وتوليد مادة أخرى منها تغايرها

obeikandi.com

خلط Composition

مزج المواد ببعضها دون اتحادها

مذهب النقد Criticisme

وهو فلسفة (كنت) Kant وأصحابه

التشخص Critérium

وهوالوصف المميز. وفي تعريفات الجرجاني : صفة تمنع وقوع الشركة بين موصوفيها

D

الإستنباط Déduction

استخراج قضية من قضية أعم منها والشكل المنطقي للاستنباط هو القياس

وعكس الاستنباط الاستقراء (induction) الذي يكون من الخاص الى العام

التعريف — القول الشارح Définition

السيئة Démérite

كل ما فيه نقصان القيمة الأدبية الذي هو نتيجة لازمة لمخالفة القانون الأدبي.

ويقابلها الحسنة – الفضل (mérite)

مذهب الأيمان Déisme - théisme

النقصان والزيادة Désintégration et intégration

تطور الكائنات باتحادها وتباينها عند (سبنسر)

مذهب القدرية Déterminisme

وهو مذهب تقييد الاختيار

الصيرورة — التكوين Devenir

وهى الرقى والتطور. لا جمود فى الوجود بل كل شىء يتطور. والصيرورة حد وسط بين العدم والوجود

القياس الخطابى — الدليل الخطابى Dialectique

قياس فاسد Diallèle

وهو ما كان مبنيًا على الدور والتسلسل

الفصل Différence

وهو المميز للنوع من الجنس. فالعقل مميز للانسان عن الحيوان والاحساس مميز الحيوان من النبات ومنه الفصل المقوم différence spécifique

المغايرة Différenciation

والمغايرة عند (اسنسر) مرور الكائنات من التجانس الى التباين وهو قانون الرقى عنده

القياس المركب Dilemme

مذهب اليقين Dogmatisme

وعندهم أن الحواس والعقل يكفيان فى معرفة حقائق الأشياء

ويعارضه مذهب الشك (Septicisme)

الديموقراطية Démocratie

هى حالة اجتماعية يكون فيها السلطة مستمدة من الأمة

التلازم العقلى Dépendance logique

كالتلازم بين المعلول والعلة

التموّر الاجتماعى Dynamique social

حركة الأسباب المختلفة فى نشوء الجماعات والرقى الاجتماعى عند (أغست كونت)

مذهب القوة الكامنة Dynamisme

يقول (لايبنتز) ان فى الكائنات أصل داخلى أى قوة فاعلية هى المحرك لنموها. فهو ينكر جمود المادة بطبيعتها

الصانع الأعظم Demiurge

وهى من الألفاظ التى وضعها أفلاطون

المدة Durée

المدة هى تعاقب الظواهر (phénomènes) لأن الأبدية ينتفى عنها التعاقب والتغيير فهى على قول الجدليين – حاضر أبدى (un éternel présent)

والزمن هو مجموع المدد باعتبارها مجردة

مذهب الاثنينية Dualisme

E

مذهب المنتخبين Eclectisme

وهم الذين يأخذون من كل مذهب أصدقه

المعلول — لازم العلة Effet

الصدور Emanation

خروج الكائنات من الجوهر الكلى على مذهب وحدة الوجود

المذهب التجريبى Empirisme

فلسفة تقول بالاعتماد على التجارب لا مجرد العقل وزعيمها باكون Bacon

كمال أول Entéléchie premier

عرف ارسطو النفس بأنها كمال أول لجسم طبيعى حىّ بالقوة
لأن لكل كائن عنده كمالا (perfection) يتجه نحوه ويشوق الى الوصول اليه

الإدراك العقلى Entendement - understanding

عند (كَنت) يختلف عن العقل (raison) بأنه ملكة الفهم والادراك أما العقل فهو جملة المبادئ التى يسير عليها الادراك فى نظره وأحكامه

مراتب المخلوقات Echelle des créatures

مُثُل أفلاطون Exemplaires de Platon ou archétypes

وهى صور معنوية أبدية بالغة حد الكمال تصورها أفلاطون نماذج وجدت جميع المحسوسات فى العالم على مثالها

قياس تقديرى Enthymeme

لأن احدى أجزائه مقدرة

الذات — الهوية Entité

وهى فى الفلسفة المدرسية مرادف لكلمة ماهية أو صورة – فالحيوان ذاتيته الحيوانية والانسان الانسانية

قياس استقرائى Epagogique

ما كان الحد الأوسط فيه معدّداً لأنواع الحد الأصغر

قياس بيانى Épichérème

وهو ما كانت صغرى القياس أو كبراه مؤيدة بدليل أو بيان

قياس برهانى Épisyllogisme

قياس لاحق تكون فيه احدى المقدمات نتيجة قياس تقدم

ظاهرة ثانوية Epiphénomène

الذهن Esprit

الذهن قاعدة الفكر أو الفكر نفسه ، أو جملة القوى العقلية والأدبية للانسان وقد يستعملون هذا اللفظ بمعنى النفس فيقولون النفس والجسم (esprit et corps) أو بمعنى الروح : الروح والمادة(esprit et matière) وعند(ديكارث) الجوهر الناطق substance pensante عبارة عن النفس فى مقابل الجوهر ذى الامتداد substance étendue وهو الجسم

ماهية الشىء Essence

وهى ما به الشىء هو هو ويختلف عن الوجود (existence)

علم الجمال Esthétique

وهو فلسفة الفنون الجميلة

ذوق الجمال Esthétique (goût)

المكان Espace - Space

المكان هو الحيز الكلى للأجسام . والمكان والامتداد (étendue) بمعنى تقريباً . والحيز هو الفراغ المحدود

غير أن هذه التعريفات لفظية لاحقيقية. وبين الفلاسفة خلاف دائم فى معناها. وعند المتأخرين الامتداد هو الفراغ المحسوس (concret) أى جزء الفراغ المشغول بجسم . ويكون المكان مجموع الامتـدادات مجردة عن الأجسام المحدودة أعنى الامتداد المجرد غير المحدود

الأبدية Éternité

الأبدية لاتتجزأ وينتفي عنها السابقية واللاحقية والبدء والنهاية . فهي حاضر أبدي (un éternel présent) قال أفلاطون الزمن صورة متحركة للأبدية الثابتة

مذهب الإرادة (شوبنهور) Ethelisme / Thélématisme

الممكنات المتناهية Êtres finis

الممكنات غير المتناهية Êtres infinis

الماهية أو الموجود الذهني Être logique ou être intelligible

والكائن الذهني être de raison (rational being) الماهية أيضاً

وعند المتأخرين الكائن الذهني هو كل معنى مجرد مفروض وجوده بغير حق مثل الحقائق الذهنية عند كنت Noumênes de Kant.

الكائن — الموجود Être - being

ويقابله العدم (néant) أو الصيرورة (Devenir)

الامتداد Éterdue

الامتداد هو ماهية الأجسام عند (ديكارت) بمعنى أن الصفات الخاصة للأجسام تجيء من الامتداد بواسطة الحركة . فهي ليست شيئاً آخر غير الامتداد تنوعه الحركة فالامتداد اذاً هو النسيج المصنوعة منه هذه الصفات

مذهب التطور – أو مذهب النشوء والارتقاء Evolutionisme

الوجود الخارجي Existence extérieure / External world

F

الملكة Faculté - Faculty

هى قوة حسية أو معنوية فى الكائنات تجعلها تسير على نمط خاص أو تنتج أثراً ما أو تتحول قليلاً أو كثيراً بتأثير غيرها فيها

مذهب الجبرية Fatalisme

وهو مذهب سلب الاختيار

الناموس الجبرى Fatale (loi)

الشكل Figure

وهو الصورة الخارجية

أشكال القياس المنطق Figures de syllogisme

الوظيفة Fonction

هى مجموع الأفعال التى تتم بجهاز عضوى مثل وظيفة الهضم وهى خلاف الملكة والخاصية

الصورة Forme

وهى ماتحدد بها الكائن بالنسبة للمادة والصور الجوهرية عند فلاسفة القرون الوسطى (ويقابلها الصور العرضية) هى مهايا الكائنات . وبهذا المعنى تكون النفس صورة الجسم الحىّ ولولاها لكان الجسم جثة والنفس كمال أول للجسم

صور أولية Formes à priori

يسمى (كنت) الزمان والمكان بالصور الأولية للحساسية أعنى الشرائط العاملية للمعرفة وكذا يقول ان المقولات هى صور أولية للمعرفة والصور هنا بمعنى

الاشكال أو القوالب التى تفرغ فيها مدركات العقل بحكم تكوينه . ولا يتصورها الانسان الاّ على تلك القوالب

الملكات الاخلاقية أو الأدبية Facultés morales

الملكات العقلية Facultés intellectuelles

سنن الطبيعة Formules de la nature

صور القياس العقلى Formes du raisonnement

G

المعانى العامة Générales (idées)

وهى الكليات (prédicables) عند فلاسفة القرون الوسطى مثل الجنس والنوع والفصل

التعميم Généralisation

التعميم من عمل الذهن وهو جعل عدد غير محدود من الكائنات أو الافعال تحت معنى واحد يكون مشتركاً بينها والتعميم مصدره الاستقراء والتجريد والموازنة مثل الملموسات والمرئيات والمشمومات

التولد الذاتى Génération spontanée

أن يوجد الكائن الحى بلا أب أو أم . وهذا مما ينفيه العلم الحديث نفياً باتاً

العبقرية Génie

تفوق الانسان بملكاته على أهل عصره فى الفكر

Grand terme	الحد الأكبر في القياس المنطقي
Gnosticisme	مذهب الأدرية
	علم الكلام على قاعدة النصرانية

H

Hétérogène	مختلف الطبع
Homogène	متحد الطبع
Hiérarchie	المراتب
Hiérarchique (ordre)	النظام الرتبي
Hiérarchie sociale	المراتب الإجتماعية
Human soul	النفس الناطقة

I

Iatrochimie	الطب الكيماوي
	مذهب طبي يفسر ظواهر التركيب الجسماني في حالتي الصحة والمرض بتفاعلات كيماوية
Iatromécanisme	الطب الميكانيكي
	مذهب طبي يفسر جميع ظواهر الحياة على المبادئ الميكانيكية
Idéal	المثل الأعلى

obeikandi.com

ليس المثل الأعلى خيالاً ووهماً عند أفلاطون بل الحقيقة فى ذاتها بصرف النظر عن النقائص التى تظهر فى الأشياء عند ادراكها بحواسنا . ولا هو معنى من المعانى العامة وجد باستقراء أفراد الكائنات والموازنة بينها . بل هو النموذج القائم بذهن كل فنىّ (artiste) يراه بعين بصيرته فيوحى اليه أسرار فنه

وعند المتأخرين يراد بلفظ (Idéal) معنيان :

(١) خيالى أى مالا يكون الاّ معنى من المعانى ويقابله الواقع (réel)

(٢) الكمال أو الفرض الأسمى

المذهب المثالى Idéalisme

وهو المذهب القائل بالمثل الأفلاطونية فى الفلسفة القديمة

المذهب الخيالى (الفلسفة الحديثة) Idéalisme

ونظريته انكار العالم الخارجى . وادعاء أن المعرفة التى تحصل عليها منه ليست الاَّ معرفة بالواسطة أى من خلال حالاتنا الوجدانية

ويقابله المذهب الوجودى (réalisme) ونظريته عكس ما تقدم

خيالية Idéalité

(لفظ منقول من الوصفية الى الأسمية)- قال (كَنت) بخيالية الزمان والمكان أى انهما ليسا بحقيقيين خارجًا عنا بل هما صورتان من صور الحس . وتمثل محض أى صور عاملية ليس الاَّ

معنى Idée - Idea

كل مالا وجود له الاَّ فى الذهن

مُثُل أفلاطون Idées de Platon

هى الحقائق الذهنية عنده أما (ديكارت) فالحقائق الذهنية عنده هى الجواهر التى يدركها الذهن ولا تقع تحت الحس وهما النفس وخالق الوجود (تعالى)

(راجع كلمة exemplaires de Platon)

(١) معانى الإحساس Idées de sensation

(٢) معانى الروية Idées de réflexion

وهما عند (لوك) مدركات الحواس ومدركات الوجدان

المعانى الصور Idées-images

تأثير الأشياء على أعضاء الحواس أوحى لقدماء الفلاسفة افتراض وجود عناصر مادية فى الأجسام توجهها الى جميع الأنحاء فتصيب أعضاءنا بتأثيراتهـا . ويسمون هذا الصدور الذى يؤثر على حاسة البصر بوجه خاص بالمعانى الصور أى المعـانى المرتسمة فى النفس ارتسام الصورة فى المرآة

ومن طريق التمثيل شبهوا ادراك الأصوات والروائح كذلك . ونظرية انبعاث الضوء للشهير (نيوتن) ليست الاّ صورة جديدة من المعانى الصور

المعانى القوى Idées-forces

وهى المعانى أو الأفكار التى تتحكم فى الأمم مثل الاستقلال . الحرية

الاستقراء Induction

تتبع الجزئيات لإيجاد حكم أو رأى

ذاتية Identité

الحدس Intuition

وهو انتقال الذهن من المبادئ للمطالب مباشرة أما (كنت) فعنده الحدس والادراك الاولى (perception) بمعنى وادراك الزمان والمكان حدس محض عنده

الحلول Immanence

الأمر بلا شرط Impératif catégorique

راجع لفظ (catégorique)

القوة المدركة Intelligence. intellect

هى ملكة العلم والمعرفة

معقول Intelligible

ويقابله المحسوس (sensible)

ومنه مبدأ المعقولية العامة universelle intelligibilité ومفواه : كل واقع فى الوجود معقول أعنى ممكن رده الى قوانين العقل . أو يجد من العقل محلاً لقبوله على الأقل وهو عين مبدأ السبب الكافى للفيلسوف (لايبنتز)

الممتنع Impossible

وهو المستحيل الذى لايجوّز العقل وجوده

اللانهاية Infini

يختلف معنى هذا اللفظ عند الجدليين وعند الرياضيين فالجدليون يعبرون به عن كل ما لاحد له فى الكمال والاطلاق – فهو عندهم بمعنى ايجابى لا سلبى

أما اللانهاية عند الرياضيين فهى كل كمية أكثر من كل كمية محدودة : فهى بهذا المعنى عبارة عن (غير المحدود) عند الجدليين

ابدع Idéaliser

الابداع الخلق على غير مثال وهذا لا يكون لغير الخالق ويراد هنا اتقان الفنّ في عمله للوصول الى محاكاة المثل الأعلى

التخيل الاختراعى Imagination créatrice

الكمال الأقصى Idéal moral

وهو الخير فى ذاته

اللامادية Immatèrialité

يراد بهذا اللفظ غالبًا لا مادية النفس. روحانيتها. ولكنه لا يدل الاّ على الصفات السلبية للروحانية أعنى الوحدة وعدم التركيب وعدم الحيز. أما مدلول الروحانية فيشمل أيضًا حركة النطق ونواميسها الغريزية

المعقولية Intelligibilité

يفرق المتأخرون بين أدرك (Concevoir) وعقل (Comprendre) وبالتالى بين الادراكية والمعقولية (Concevabilité) فمبدأ عدم التناقض شرط الادراكية مثلاً دائرة مربعة هذا غير مدرك (غير مفهوم) لأن فيه تناقضًا

ومبدأ الضرورة (أو العلية) شرط المعقولية. فقد يكون الحادث مفهوماً ولكنه يبقى غير معقول حتى يرد الى قانون يجعله ضرورة

وكذلك القانون لا يصير معقولاً حتى يرد هو أيضًا الى قانون أعم منه مثلاً قوانين التثاقل (لجليليه) معقولة لأنه يمكن استنتاجها أيضًا من قوانين الجذب العام (لنيوتن)

فالمعقولية تمثل الأشياء تحت حكم الضرورة

المذهب الادراكى Intellectualisme

ويقابله المذهب الحسىّ sensualisme

J

Jugements problématiques } أحكام ظنية (مشكوك فيها)

Jugements assertoriques } أحكام اعتقادية (مؤكدة بلا دليل

Jugements apodictiques } أحكام قطعية

L

Logique formelle منطق الشكل

وهو القسم الخاص بالتصور والقياس العقلى وقوانينه والأقيسة وأشكالها

Logique matérielle ou pratique منطق المادة

وهو القسم الخاص بأقسام العلوم وأساليبها (méthodologie)

Loi morale
Loi naturelle } القانون الأدبى

وهو قانون الأخلاق

Loi de la Nature ناموس الطبيعة

Loi nécessitante قانون قسرى

Lieu الحيّز

هو الفراغ المحدود . وعند ارسطو السطح الباطن من الحاوى المماس للسطح الظاهر من المحوى . وعند غيره : الابعاد الخارجية للأجسام

Lycée (philosophes de)

هم أصحاب أرسطو لأنهم كانوا يجلسون فى معبد ابولون ليسيان (Apollon Lycien) ويسمون أيضاً عند فلاسفة الاسلام بالمشائين péripatéticiens

M

العالم الأكبر Macrocosme

سمى العالم بالعالم الأكبر وسمى الانسان بالعالم الأصغر . لأنهم يقولون ان الانسان صورة مصغرة من العالم

كبرى القياس المنطقى وصغراه Majeure et Mineure

مذهب المادية Matérialisme

وهو المذهب الذى يَرُدكل شىء فى الوجود الى وحدة المادة ومعناه الأخص انكار روحانية النفس . والمذهب القديم القائل بالجوهر الفرد فرع من المذهب المادّى

المادة Matière

المادة بمعناها الأعم كل ما وجد ويقابلها الصورة (forme) وعند فلاسفة القرون الوسطى نوعان من المادة : الهيولى وهى المادة على غير شكل (Matière première) والمادة الثانية وهى المادة المحدودة القابلة للتغيير أيضًا

والمادة بمعناها الأخص كل ما تناولته الحواس

ميخانيكية — مذهب الآلية Mécanisme

(١) وهو كل ما جرى على أصول وقواعـد رياضية . لأن قوانين الحركة قوانين رياضية صرفة

(٢) مذهب فلسفى لديكارت وأصحابه حيث يقولون إن وجود العالم قاصر على المادة (وهى عنده الامتداد) والحركة . ويعارض هذا المذهب مذهب القوه الكامنة (Dynamisme)

الحافظة Mémoire

فضل — حسنة Mérite

وهو كل ما زاد فى القيمة الأدبية للأفعال البشرية

استحالة — انسلاخ Métamorphose

الاستحالة تغير الصورة كاستحالة الشرنقة الى فراش فى تطور دودة القز والقطن وعند القزوينى انسلاخ

ما بعد الطبيعة — النظر الجدلى Métaphysique

هو علم الأصول والعلل الأولى للوجود وهو العلم الالهى عند فلاسفة الاسلام

الجدليون Métaphysiciens

بالأنظار الجدلية Métaphysiquement

ماهية عقلية Métaphysique (essence)

معانى جدلية « (idées)

التناسخ Métempsycose

انتقال الروح من انسان لآخر بعد مماته وهو من مذاهب قدماء الهند والمصريين

الأسلوب Méthode

وهو مجموع المقدمات الصحيحة الموجزة الموصلة للحقائق . منها أساليب العلوم المدونة بمنطق المادة (Méthode des sciences)

الحال Modalité

زاد (كنت) على المقولات (الحال) وجعل تحتها ثلاثة : الوجود والامكان والوجوب وان كانت جمعًا فهى بمعنى الصيغ جمع صيغة (mode)

ضروب القياس (منطق) Modes du syllogisme

الأنية والغيرية Moi. Non — moi

ليست الأنية هى النفس تماماً وانما هى النفس حين تشعر بذاتها – وهى واحدة غير مركبة لا تتغير ذات ارادة (حرة) – هى الشخصية المعنوية (حيث تقع عليها تبعة أفعالها)

تعدد الوجدانات والأنيات Dédoublement du Moi

النفس Moi intellectuel

الجسم Moi sensible

الذرّة Molécule

هى أصغر أجزاء المادة . وهى ليست بالجوهر الفرد بل الجوهر من أجزائها . والجوهر عنصر حقيقى أما الذرة فهى أشد أجزاء الجسم المركب صغراً . ويبقى مستقلاً فى وجوده

المونـاد Monade

عند لايبنتز (المونـاد) عبارة عن وحدة قوّة غير مركبة أى بسيطة تمثل العالم على صغرها المتناهى ولذلك سميت عند أهل المذهب (Microcosme) أى العالم المصغر ماهيتها الشوق أو النزوع الدائم للانتقال من ادراك لآخر . فهى غير الجوهر الفرد الذى هو جسم لا يتجزأ ولا يتغير . أما المونـاد فهو قوة حية قابلة للنمو

مذهب وحدة المادة Monisme

ومنه مذهب وحدة الوجود ويقابله مذهب الاثنينية (Dualisme) كمذهب (ديكارت) فى أصل الوجود وهو المادة والحركة ومذهب غيره : المادة والروح

Monothéisme مذهب التوحيد

ويقابله مذهب الشرك polythéisme

Morale (éthique) علم الأدب — علم الأخلاق

وهو علم الواجب

Moral (sens) حاسة اخلاقية

يسمى بعضهم الضمير بالحاسة الاخلاقية

Moral judgement. Moral law القانون الأدبى

Moralité الاخلاقيات

Moralité de l'acte معنوية الفعل

هى القيمة الأدبية للأفعال البشرية

Mouvement autonome حركة مستقلة

Mouvement réflexe حركة قسرية

Mouvement spontané حركة ذاتية

Monde Moral العالم المعنوىّ

Monde corporelou physique العالم الحسىّ

Modifications de l'esprit توليدات العقل

Matérialisme historique المادية التاريخية

مذهب يقول ان الأسباب الاقتصادية لها الأثر الفعلى دون غيرها فى مصير الحضارة للأمم فهى التى تؤثر فى نظام العائلة والحكومة والأخلاق والعادات والمعتقدات والحالة الأدبية والفنون والعلوم والحكمة . . . الخ

obeikandl.com

المعنوية التاريخية Idéalisme historique

ويذهب أصحابه الى أن الأفكار الأدبية والدينية والعلوم والفنون والفلسفة وبالجملة كل ما يتعلق بالحياة العقلية والأخلاقية هى التى تفعل بقسوة حتى فى الأمور الثانوية للحياة الاقتصادية وهى التى تشكل الحضارة وتحدد الصفات المميزة لها.

المغناطيسية الحيوانية Magnétisme animal

كما يقولون ان للسيال المغناطيسى فعلاً من بُعد فيظهر أثره بين العاشقين والأجسام المكهربة. يقولون كذلك بوجود سيال آخر مشابه للأول مصدره المجموع العصبى لبعض الأفراد فى شروط معينة. يفعل فى غيرهم وفى الأشياء أيضاً ويسمونه بالمغناطيسية الحيوانية. وهى فى نتائجها تقرب كثيراً من أحوال التنويم المغناطيسى والايحاء

عاقلة — عقلية — ذهنية Mentalité

عقلية الجمهور — معقول الجمهور Mentalité générale

وهى الحالة العقلية للانسان أو الجمهور فى تصور الحقائق

N

الواجب — الضرورى Nécessaire

هو الموجود الذى يمتنع وجوده

فالحقائق بالضرورة (vérités nécessaires) لا يكون نقيضها باطلاً فقط بل وغير معقول أيضاً

والضرورة القائمة على مبدأ عدم التناقض عقلية أو حكمية (nécessité logique ou de droit) مثل الكل أعظم من الجزء. ومجموع زوايا المثلث يساوى قائمتين

والضرورة القائمة على مبدأ العلية : تجريبية أو فعلية (nécessité empirique ou de fait) مثل الجذب بين جسمين مناسب لعكس مربع المسافة. وانتشار الضوء والحرارة مناسب لعكس مربع المسافة

مذهب النقد الحديث Néo-criticisme

وهم أصحاب (كَنت) وعلى الأخص المذهب الفرنسى

مذهب أفلاطون الجديد أو الأفلاطونية الحديثة Néo platonisme

وهى مدرسة الاسكندرية ورئيسها أفلوطين (Plotin)

المذهب اللفظى Nominalisme

وهو مذهب المنكرين لحقيقة الكليات (أى المعانى العامة) ولا يرون فيها الاّ ألفاظاً وأسماء

ومثله المذهب المعنوى (Conceptualisme) القائل بأن الكليات ليست الاّ معان ذهنية

الحقيقة الذهنية (عند كنت) Noumène

كلمة نحتها كنت للدلالة على (الشىء فى ذاته) فى مقابل قولهم ظواهر phénomènes ومعناها الشىء الذى لا يدرك الاّ بالعقل

الأوليات Notions premières

وهى المدركات الأولية للقوة المدركة مثل الضوء ضد الظلام. والحيوان غير النبات وهى المعقولات الأولى فى الفلسفة العربية

O

الموضوع — المنفعل — المدرَك Objet. object

موضوعى — خارجى Objectif

وهو ما يتعلق بالموضوع أو الحقائق الخارجية

Objectivité — الموضوعية

كموضوعية الحس وموضوعية المعرفة أى تناولها للأشياء فى ذاتها

Ontologie — علم الكيان

هو علم الكائن من حيث هو (صناعة الكيان عند الفارابى)

Ontologique (preuve) / Ontological Argument — الدليل الكيانى

Observation interne / introspection — ملاحظة ذاتية (بالوجدان)

Observation externe — ملاحظة خارجية (بالحواس)

Olympe — ملكوت

Occasionisme — المذهب الاتفاقى

Opération sensitive — عمل الحس

حركة النفس عند إعمال الحواس

Opération intellectuelle — عمل العقل

هو حركة النفس فى الأعمال التحضيرية للقوة المدركة كالانتباه والتجريد والتعميم والحكم والنظر

Ordre naturel — نظام طبيعى

Ordre surnaturel — نظام قدسىّ

P

Panthéisme — مذهب وحدة الوجود

ويقابله مذهب تعدد الوجود panenthéisme

قياس فاسد Paralogisme

قياس دائر Pétition de principe

فى المنطق قياس كالدائرة الفاسدة (cercle vicieux)

الظاهرة Phénomène - Phenomenon

كل ما أمكن ملاحظته – وقد تأتى بمعنى حادث (fait) ولكن الفلاسفة يستعملون لفظ حادث فيما لا يمكن ملاحظته مثلاً تموجات الأثير هذه حوادث وليست بظواهر

وكذلك ليست القوى الطبيعية والخواص والملكات بظواهر وانما أثرها المحسوس أو الوجدانى هى الظواهر عندهم فجذب الأرض ليس بظاهرة ولكن سقوط جسم من الأجسام ظاهرة . والعلة ليست بظاهرة ولكن المعلول ظاهرة . وملكتنا التى تعرف بها الظواهر هى التجربة

والظواهر نوعان حدسية ووجدانية

ويقابلها حقائق كنت Noumènes أى الأشياء فى ذاتها (راجع هذا اللفظ)

القياس المركب Polysyllogisme

الواقع Positif

أى المحقق الذى لانزاع فيه ومنه فلسفة الواقع (لاغست كونت)

علوم الواقع Positives (Sciences)

المذهب الواقعى Positivisme

يقول (أغست كنت) (Auguste Comte) كل بحث عن العلل بحث لا طائل تحته . والعلم يجب أن يقف عند الأمور وقوانينها ليس الأ – ويقابله ما بعد الطبيعة métaphysique

بالقوة Potentiel

ما كان موجوداً بالقوة لا بالفعل . كالتمثال مثلاً فى كتلة الرخام قبل نحتها

حقائق حدوثية Pragmatiques (vérités)

أى حقائق يشهد بصحتها أو بطلانها التجربة والحدوث

المقدمتان الأوليان Prémisses

فى القياس المنطقى هى الكبرى والصغرى

الحركة الحيوية Processus

مذهب المشائين Péripatétisme

وهم أصحاب أرسطو – أو فلاسفة الليسيه (Lycée) لأنهم كانوا يجلسون فى معبد أبولون ليسيان Apollon Lycien راجع لفظ (Académie)

النطفة Protoplasme

مُثُل أفلاطون Prototypes de Platon

قضايا متخالفة فى الكيف كلية propositions contraires

قضايا متخالفة فى الكيف جزئية propositons subcontraires

قضايا متخالفة فى الكم propositions subalternes

قضايا متناقضة propositions contradictoires

قضايا موجبة propositions affirmatives

قضية سالبة propositions négatives

قضية كلية propositions universelles

قضية جزئية propositions particulières

قضية متباينة propositions opposées

قضية موجهات propositions modales

قضية مؤلفة propositions complexes

مبدأ الذاتية Principe d'identité

الشيء الواحد اما موجود واما معدوم . والشيء لا تتغير ذاته بل يبقى هو هو بعينه وذاته

مبدأ العلية Principe de causalité

العلية هي الرابطة الحقيقية بين العلة والمعلول. والقاعدة التي تربط بها المعلول بعلته تسمى مبدأ العلية

علم النفس Psychologie

أمور نفسية — نفسانيات Psychologiques (faits)

النامة Psychologique (vie)

والنامة حياة النفس (المخصص)

الوجدان Psychologique (Conscience)

الإدراك الحسّي Perception

الحسّ الباطن Perception interne

وهو ما كان بالوجدان

الحسّ الظاهر Perception externe

وهو ما كان بالحواس

قانون القصد Parcimonie (loi de)

هو قانون الطبيعة حيث تنهج في سيرها منهج التقنير والقصد وتسلك أقرب المسالك . فلا تزيد في عدد الكائنات ولا تضاعف العلل بغير حاجة أي تصمر في صنعها صموراً وتقتر قتراً

Q

الكيف Qualité

الكم Quantité

وكلاهما من مقولات ارسطو العشرة

R

العقل Raison - Reason

راجع entendement

Reason (theoretical)

العقل النظرى أو النظر العقلى Raison spéculative

وهو اسم العقل عند نظره فى العلوم الرياضية

العقل العملى أو النظر العملى Raison pratique

Reason (practical)

وهو الضمير عند (كنت) أى العقل عند نظره فى الأخلاقيات

القياس العقلى أو النظر Raisonnement - Reasoning

وهو انتقال من حقيقة بديهية أو قام عليها دليل الى حقيقة أخرى فالنظر كسبى والعقل حدسى (intuitive)

وفى شرح المواقف : النظر ملاحظة العقل ما هو حاصل عنده لتحصيل غيره

المذهب الوجودى Réalisme

وأصحابه هم الذين لا ينكرون الوجود الخارجي كأصحاب المذهب الخيالى (Idéalisme) راجع اللفظ الأخير

obeikandl.com

حقيقة — واقع Réalité - Reality

وهى الحقيقة الواقعية أى التى لها وجود فعلىّ ويقابلها الممكن (possible)

اضافى Relatif

وهو ما كان متعلقاً بغيره على خلاف المطلق الذى لا تعلق له بغيره. وعند هملتون المشروط conditionnée

الاضافية Relativité - relativity

المعرفة عند (بسكال وكنت) كلها اضافية لا مطلقة بمعنى اننا لا نعرف شيئاً فى الوجود الاّ بواسطة ملكات المعرفة فينا . وتحكم صور تلك الملكات وقوانينها فى معلوماتنا أمر لا مفرّ منه

اضافية المعرفة Relativity of knowledge

التمثل Représentation

هو الصورة التى تعقب الاحساس فى النفس وهو اما حسىّ (أى لاذّ أو مؤلم) واما مصوّر (ممثل للأشياء التى أحدثته) ويسمى بالتمثل المحسوس (rep. sensible) وضع شوبنهور مصنفاً كبيراً ليثبت أن العالم (ارادة) فى ماهيته (وتمثل) فى معرفتنا له

النظر التمثيلى Raisonnement analogique

وهو ما كان مبنياً على التمثيل وهو اثبات حكم واحد لشبوته فى جزئى آخر لمعنى مشترك بينهما

النظر الاستقرائى Raisonnement inductif

وهو ما كان مبنياً على الاستقراء وهو الحكم على كلى لوجوده فى اكثر جزئياته

النظر القياسى Raisonnement déductif

وهو ما كان مبنياً على القياس وهو رد الشيء الى نظيره

الحقيقة الخارجية Réalité objective

الحقيقة العاملية Réalité subjective

الحقيقة الذهنية Réalité intelligible

(راجع Idée)

المذهب العقلى Rationnalisme

وهو النظر فى الأمور من طريق العقل دون التبليغات والإلهامات

ومنه علم الكلام (Ration. théologique) وهو محاولة تفسير الكتب المقدسة والعقائد القدسية على مقتضى قواعد العقل

S

مذهب الشك Scepticisme

وهم المتشككون الذين يرتابون فى صحة تقريرات العقل الانسانى

الفلسفة المدرسية Scolastique (philosophie)

وهى فلسفة القرون الوسطى المؤسسة على فلسفة أرسطو والعقائد الدينية

الحساسية Sensibilité

وهى ملكة الاحساس والعواطف والميول والشهوات

الحس — الاحساس Sensation

الذوق العام — الذوق المألوف Sens commun

أو الشعور العام عند علماء المشرق : وهو جملة المبادئ المشتركة المتخذة أساساً للحكم والقياس

ذوق أخلاقى — أو حاسة أخلاقية Sens moral

المذهب الحسى Sensualisme

القائل بأن الحواس هى مصدر جميع المعلومات البشرية

عاطفة الجمال Sentiment esthétique

الخاصة بالفنون الجميلة

عاطفة قدسية Sentiment surnaturel

كعواطف الدين

عاطفة روحية Sentiment intellectuel

كالفرح والسرور والحزن والأسف

عاطفة أخلاقية Sentiment moral

كالشرف والحياء والاحترام والارتياح لفعل الخير

المذهب الروحانى Spiritualisme

وهو القائل بالجواهر اللامادية التى لا تقع تحت الحواس كالنفس

الفاعل — العامل — المدرك Sujet — Subject

عاملى — شخصى Subjectif

العاملية Subjectivité

مثل عاملية المعرفة : عند أصحاب المذهب الخيالى المعرفة لا تتناول الأشياء فى ذاتها بل هى عاملية محضة أى تكون بحسب قوانين الفكر ليس الاّ

Subconscience	وجدان ثانوى
Suprasensible	ما فوق الحس
	كالنفس وخالق الوجود
Suggestion	الايحاء
	وهو القاء المعنى فى النفس بخفاء وسرعة (التعريفات)
Stoïciens	الرواقيون
	وهم أصحاب زينون
Substance	الجوهر
Substance intellectuelle	جوهر روحى — كالنفس
Substance pensant	الجوهر الناطق
étendue	الجوهر ذو الامتداد
	وهما عند (ديكارت) النفس والجسم
Substance métaphysique	
	جوهر عقلى — جوهر مجرد — كالمطلق عند الجدليين
Sensation affective	الحس الشهوى
Sensation représentative	الحس المصوّر
Syllogisme	القياس المنطقى
Servage	الأكارة
Serf	أكّار
Sociologie	علم الاجتماع

obeikandi.com

Sophisme المغالطة

Statique sociale القرار الاجتماعى

أى استقرار القوى الاجتماعية ونظام الجماعات وشرائط وجودها فى علم الاجتماع (sociologie)

Synthèse التركيب

وهو ضد التحليل (analyse)

Syncrétisme

مذهب يجمعه أصحابه من المذاهب الأخرى بلا بحث ولا نقد

T

Terme لفظ — حد — حدود (فى القياس المنطق)

Types de Platon مثُل أفلاطون

راجع (Idée)

Tradition التواتر

Tout. naturel الكل الطبيعى

وهو كل مركب حقيق أو منطق (عقلى) والكل الأعظم (Grand tout) هو وحدة العالم وخلق الوجود . والرجوع الى الكل الأعظم معناه رجوع العقول كلها الى العقل الأول أو الجوهر الكلى فى اصطلاح أهل الكلام

Transformisme } التحول
Transformation }

وهو مذهب القائلين بأن جميع الكائنات الحية من أصل واحد ثم استحالت الى أنواع بالتطور والتحول وهو مذهب لامرك (Lamark) ودروين (Darwin)

أولى — جولى Transcendantal

أى متعلق بالعقل المحض . خاص بالمزاج العقلى وسابق على كل تجربة وهو أساس مذهب (كنت)

والجول – لبّ الانسان ومعقوله (المخصص)

تناسخ الأرواح Transmigration

الزمن Temps

الزمان هو المجموع الكلى للمدد (durées) باعتبارها مجردة وتقاس المدة بالحركة والجدليون لا يفرقون بين الزمن والمدة فقط بل و بين الزمن والأبدية (éternité) التى لا تتجزأ وليس لها سابق ولا لاحق

أما (لايبتز) فيعرف الزمان بأنه نظام الأشياء المتعاقبة . والمكان نظام الأشياء الحاصلة فى وقت واحد

أما (كنت) فيقول ان الزمان صورة أولية (forme à priori) للحساسية فهو صورة الحس الباطن عند ادراكه الأمور المتعاقبة للحياة الباطنية . والمكان صورة الحس الظاهر عند ادراكه الأمور الحاصلة فى وقت واحد

U

وحدة Unité

وهى عند (كنت) احدى أحوال الكم الثلاث وهى: الوحدة والكثرة والجملة فالوحدة هى الماهية مشخصة تشخيصاً مميزاً لها عن جميع ما عداها . واذا تشخصت بمشخصات عديدة بحيث كانت مع كل واحد من تلك المشخصات جزئياً مغايراً للجزء الآخر سمى الجميع كثرة

وقد تطلق الوحدة على الكثرة بالاعتبار والقياس الى ما هو أعظم منها كثرة كالعشرة فانها ليست ذات وحدة حقيقية بل ذات كثرة ولكن تعتبر وحدة للمئات . والكثرة عرضت لها من حيث أنها جملة واحدة

الادراك العقلى	Understanding
الكليات	Universaux - prédicables

الكليات هى المعانى العامة فى الفلسفة الحديثة . وهى المعقولات الثانية فى الفلسفة العربية (ما لايكون بازائه موجود فى الخارج)

الاجماع العام	Universel (consentement)

V

الحقائق الأولية	Vérités premières
حقائق عقلية	Vérités intellectuelles
الحياة الشهوية	Vie affective
الحياة العقلية	Vie intellectuelle
الحياة العاملة	Vie active
الحياة النفسية (علم النفس)	Vie morale Vie mentale

obeikandl.com

الحياة الأدبية (علم الأخلاق) Vie morale

الخلاء والملاء Vide et plein

عمل الارادة Volition

حقيقة — صواب Vérité

الحقيقة من حيث مطابقة الفكر للواقع و يقابلها الخطأ (erreur)

الخاطر الربّانى Véracité divine

أو التجلى (عند الصوفيين) هو الضمان لصحة المعرفة الخارجية عند (ديكارت)

الفناء فى الله Vision en Dieu

أى التوجه الكلى الى الذات القدسية وهو ضمان صحة المعرفة الخارجية عند (مالبرنش)

obeikandl.com